# دراسات في الأدب
# في
# ( عصر صدر الإسلام )

الدكتور
على الخطيب
أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد
وعضو اتحاد كتاب مصر وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية
والعميد الأسبق لكلية اللغة العربية
فرع جرجا – سوهاج

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

٨١٠.٩٢ الخطيب ،علي .
ع.خ
دراسات في الأدب في عصر صدر الإسلام / علي الخطيب.- ط١.-
دسوق: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
١٦٠ ص ؛ ١٧.٥ × ٢٤.٥سم .
تدمك : 2-361 - 308 - 977 - 978
١. الأدب العربي – تاريخ ونقد.
أ - العنوان .

رقم الإيداع : ١٩٤٢٦

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة
هاتف : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ - فاكس: ٠٠٢٠٤٧٢٥٦٠٢٨١
**E-mail:** elelm_aleman@yahoo.com
elelm_aleman@hotmail.com

**حقوق الطبع والتوزيع محفوظة**

تحـذيـر:
**يحظر النشر أو النسخ أو التصوير أو الاقتباس بأى شكل**
**من الأشكال إلا بإذن وموافقة خطية من الناشر**

2012

# الفهرس

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |



# تصدير

إن الحياة الإنسانية ذات نواحٍ شتىّ ، يمتاز كل منها عن الباقى من جهة ثم تتصل بها مؤثرة ومتأثرة من جهة أخرى، فناحية سياسية ، وأخرى إجتماعية وثالثة دينية ، ورابعة فنية أدبية إلى غير ذلك من ألوان الحياة ومَناحِيهَا وهذه الأحوال المتشابكة والمعقدة التى تلبسها الحياة خلال القرون المتعاقبة إنما تتطور وتستحيل فى بطء وأناة بعوامل كثيرة متباينة جلها معنوىّ ، أو خفىّ لا يمكن أن يحسّ ، أو يشاهد ، وإن كان يدرك ، وتبدو آثاره فى الحياة الحسية فى الأوقات المناسبة فليس من الميسور مطلقاً نقل أمة من حياة البداوة إلى حياة الحضر طفرة، كما انه ليس من السهل اليسر تلف نظام الحكم فى بضعة أيام ، كما أنه من المستحيل تغيير عقل الشعبي ، أو فنونه ، أو آدابه بتلك السرعة التى قد يتصورها الناس إلاّ أن يكون ذلك محاولة محكوم عليها بالفشل الذريع ومصيرها الانعكاس والضّرر ، بل المأساة الضارة والسّر فى ذلك هو أن هذه التغييرات تتناول الحياة النفسية للإنسان قبل كل شىء ، والتعبير المعنوى فى العقائد والأفكار ، وطرائق التفكير ، والتصوير والتعبير يستلزم زمناً طويلاً يسمح للعوامل المتباينة من " دين جديد أو رأى مبتكر ، أو أسلوب فنى حديث ، أو أدب طارىء أو تقاليد ، ونظم مفروضة أن تحدث آثارها ، وللنفوس أن تتهيأ للجديد ، ثم تتقبله ، حتى إذا توفرت جميع العوامل وحانت الفرصة المناسبة شاهدت حوادث وانقلابات يسميها الناس " ثورة " أو " نهضة " أو " تحولاً فى حياة الأفراد ، والجماعات ، فها هو ذا العصر الإسلامى الذى نجده خير ما يوضح لنا كيف تنتقل الشعوب من طور

تـاريخى إلى طـور سـواه ، فالحيـاة العربيـة كانـت فـى أواخـر القـرن السـادس "المسـيحى" ، وأول القـرن السـابع آخـذه فـى التطـور أدبيـاً وسياسـياً ، ودينيـاً . واجتماعياً ، وقد أحس المتقدمون بهذا التحول ورأوا فيه إرهاصاً ، أو مقدمة لحياة جديدة ، أو حدث عظيم يظهر فى هذه الأمة العربية ، ولم يخطئوا فى هذا التقدير حيث إن هذه الظواهر كانت دليلاً على أن حَدَثاً خطيراً سَيُلِمّ بهذه الأمة البدوية فيغير حياتها ، بل سيحدث فيها ثورة ، وانقلاباً هائلاً فى كل مناحى الحياة ، بل ويدفعها إلى تمثيل دورها الطبيعى على مسرح الحياة العامة .

ذينكم هو " الإسلام " وهو الحدث الخطير الذى أومأنا إليه آنفاً ، وإن فترة الإرهاص طور طَبْعىّ فى حياة العرب ، وهى كذلك الخطوة الأولى الممهدة لبداءة عهد جديد ، فهى الطلائع الأولى للعهد الإسلامى والمدخل إلى هذه الحقبة التى نواجهها ، إلا أن فترة الإرهاص هذه ذات مظاهر شتى ، فهى عقلية وسياسية واجتماعية ، وأدبية ، ونحن مضطرون أن نتتبع كل ناحية من هذه المناحى ، ونسير بها حتى ظهور الإسلام ، وبعد ظهوره لنعرف مداها وما أفادت من هذا الدين الجديد .

المؤلف
الأستاذ الدكتور
على الخطيب

# ظهور الإسلام

فى عام " ٥٢٥م " "٩٧" ق .هـ يعنى قبل الهجرة النبوية المباركة احتل الأحباش " اليمن " وبعد خمسين عاماً سَارَ" أبرهة الأشرم " وَالِى " " اليمن " من قبل ملك الحبشة بجيش عَرمْرم على " مكة المكرمة " وحاصرها عام ٥٧٠م ولكن حملته هذه باءت بالفشل ، وآب يجر أذيال الخزى والعار ، والخيبة والشنار ، ولم يكن أهل مكة رأوا من قبل " الفيلة " فى الجيوش ، بل كانوا يرون " الخيل " يمتطى صهواتها " الفرسان " فسموا العام بعام الفيل . وفى ذلك العام ولد سيدنا "محمد"ﷺ فى مكة ونشأ فيها يتيماً ، فقد توفى أبوه قبل أن يُولد ، ثم توفيت أمه وهو فى السادسة من عمره حين كانت تزيره أخواله من بنى النجار وكانت وفاتها فى مكان يسمى " الأبواء " وفى الخامسة والعشرين من عمره تزوج سيدنا "محمد"ﷺ بالسيدة الفضلى " خديجة بنت خويلد " وكانت من أهل الغنى واليسار ، ومن التجار المشهورين بمكة وغيرها من البلدان المجاورة ، ولما بلغ الأربعين من عمره اختاره الله لأداء رسالته ، ثم بعثه رسولاً إلى الناس أجمعين ويأتى الأمر بعد ذلك للنبى عليه الصلاة والسلام بأن يصدع بالدعوة . فيقول الله تعالى:

﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [سورة الحجر: ٩٤]

ودعا الناس فى مكة إلى توحيد الله ثلاث عشرة سنة ، ومع ذلك لم يزد المعتنقون للإسلام فيها أكثر من " سبعين مسلماً " عاشوا جميعاً فى اضطهاد وتنكيل ، وتعذيب ، وذل ، وهوان من الكافرين مثل "بلال بن أبى رباح الحبشى وصهيب الرومى " وعمار بن ياسر ، وأبوه ، وأمه التى رماها أبو جهل بحربة أصابت فرجها ، وأردتها قتيلة ، ثم كانت الهجرة إلى الحبشة ، ثم أمرهم النبى ﷺ بالهجرة إلى المدينة فهاجروا إليها والنبى ﷺ وكان ذلك عام " ٦٢٢م " فتلقاه أهل المدينة بالحبّ ، والترحاب ، وخرج النسوة يزغردن ، ويضربن بالدفوف وينشدن .

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

أيهـــــا المبعـــــوث فينــــــا جئـــــت بـــــالأمر المطـــــاع
جئــــت شـــــرفت المدينـــــة مرحبـــــاً يـــــا خيـــــر داع

ثـم دخـل أهـل المدينـة فـى الإسـلام ، وبـدلا مـن تسـميتها " يثـرب " سموهـا "مدينة الرسول" وتعد الهجرة مبدأ التاريخ الإسلامى والذى يسمى بالتاريخ الهجرى.

وبعد ذلك أصبح الإسلام دولةً ، وصار المسلمون أُمةً وقد حاول المشركون بالاتفاق مع اليهود فى المدينة محاربة الإسلام والمسلمين ، ولكن المسلمين انتصروا على عدوهم فى معارك كثيرة كان من أشهرها " غزوة بدر الكبرى " والتى وقعت فى السنة الثانية للهجرة ، والتى توافق سنة "٦٢٤" للميلاد وغزوة " الخندق " وكانت سنة " خمس " للهجرة " ، وغزاة " حنين " وكانت سنة " ثمان " للهجرة " وقد فتح الله " مكة " على نبيه عليه الصلاة والسلام وعلى المسلمين ، وانتشر الإسلام وعمّ الجزيرة العربية كلها وفى سنة " ١١ ه" لحق النبى ﷺ بالرفيق الأعلى بعد جهاد ودعوة إلى الله وتوحيده دام ثلاثاً وعشرين سنة قضى ثلاث عشرة سنة فى مكة وعشر سنين فى المدينة هذه مدة بعثته ﷺ .

وكان رسول الله ﷺ رسولاً وقائداً ، وحاكماً ، فلما توفى عليه الصلاة والسلام لم يكن للمسلمين خيار سوى اختيار خليفة لهم يدبر أمورهم ويرعى مصالحهم فبايعوا أبا بكر ﷺ خليفةً عليهم ، مضى أبو بكر ﷺ " سنين " فى الخلافة قاد خلالها "حروب الردة " وبعث الجيوش للفتح ، ولإنقاذ العرب الذين كانوا يعيشون فى "العراق " ، و" الشام " يرزحون تحت نير " الفرس والروم " وبعد " أبى بكر " ﷺ جاء الخليفة " عمر بن الخطاب " رضى الله عنه ومكث فى الخلافة " عشر سنين " فتح العرب فيها " العراق " ، و" الشام ، ومصر ، وفارس " وفى عهد " عمر " ﷺ اتخذت الدولة الإسلامية شكلها الواضح ، وصارت دولة مرهوبة الجوانب ، وامتدت الفتوحات فى عهده واتسعت رُقعة الدولة الإسلامية حتى كانت حدودها من الصين شرقاً إلى أن أطل " الإسلام برأسه من فوق جبال " البرانس " فى فرنسه غرباً .

وبعد سيدنا "عمر بن الخطاب" ﷺ ، تولى الخلافة سيدنا "عثمان بن عفان" ﷺ وهو أمويّ ، فاتسعت الفتوحات فى زمنه فى "مصر وليبيا وفى البحار" ثم تولى الخلافة سيدنا " على بن أبى طالب " ﷺ فاستمر الاضطراب ، وتوقفت الفتوحات بعد نشوب الخلاف السياسى بين سيدنا " على بن أبى طالب " ، وبين سيدنا " معاوية بن أبى سفيان " وانقسم أنصار سيدنا " على بن أبى طالب " على أنفسهم فأصبحوا " شيعةً " وهم الذين ناصروا الإمام " على " ﷺ ووقفوا موقف العِدَاء من خصومه ، و" الخوارج " الذين كانوا يعدون النزاع بين " على ، ومعاوية " نزاعاً سياسياً ، ثم عادُوا " عليا ومعاوية " معاً وحاول الخوارج قتل " على ، ومعاوية وعمرو بن العاص" لأنهم جميعاً فى رأى الخوارج كانوا سبباً للخلاف بين المسلمين فلم تسنح الفرصة إلا بقتل " علىّ " سنة ٤٠ للهجرة - ٦٦١ للميلاد .

# الناحية السياسية

إن الدارس لتاريخ الأمّة العربية قبيل الإسلام أى فى القرن السادس المسيحىّ يشاهد أطواراً عظيمة فى نواح كثيرة من حياتها ، فالناحية السياسية كانت مركزة لديهم فى نظام " القبيلة " التى يخضع أفرادها لزعيم واحد يصل إلى هذا المنصب عن طريق عشيرته الخاصة به . وذلك لكثرتهم فى العدد أو لشهرتهم ببعض الفضائل الكريمة ، ونحو ذلك من الميْزات التى تؤدى إلى اتفاق الجماعة على اختياره للرياسة ، والسيادة ، والزّعامة ، وبمضى الأيّام اكتسب الزعماء حقوقاً على الجماعات تشبه من بعض الوجوه ما يكون للملوك والحكام فى الأمم والشعوب المتمدنة ، فمن ذلك أنهم كانوا يجعلون للسيد رُبع الغنيمة فى الحرب ، ويخصونه بالصفايا – والصّفايا هى ما لا يمكن اقتسامه من فرس كريم ، أو سيف قاطع ، أو حِلْيّة نفيسة ، وله كذلك حكمه فى اختيار ما تقع عليه رغبته من الغنائم ، والنشيطة وهى ما أصاب الرئيس قبل أن يصير إلى بيضة القوم ، والفضول ، وهو ما قلّ منها حين تقسم فى الطريق يقول شاعرهم :

لك المرباع منها والصّفايا وحكمك النشيطة والفضولُ

وقد أَلِف الرئيسى هذه الحياة وأحبها لتمكنه فيها من حريته الشخصية ولم يظهر على أهل البادية فى وقت من الأوقات ميلهم إلى الحضر ، واستبدالهم بها سكنى الأمصار ، فاعتزوا بها ، وآثروها على ما كان بها من شظف العيش ، وقساوة الحياة ، ولقد سئل بعضهم " ما كنتم تصفون بالبادية إذا انتقل كلّ شىء ظله ؟ فقال :" بَخٍ بَخٍ وهل العيش إلا ذاك يمشى أحدنا ميلاً فيَرفَضُ جبينه عرقاً كأنه الجان فيركز عَصاه ، وينصب عليها كساءه ، ثم يجلس تحته ، وتقبل عليه الرياح من هذا ، ومن هذا ، فكأنه فى إيوان كسرى".

# تأسيس الإمارات العربية

أومأنا آنفاً إلى فقدان الوحدة السياسية ، فقد كان يوجد بعض الأنظمة السياسية بين سكان الحجاز فى مكة ، وفى الإمارات العربية التى تأسست إحداها فى العراق ، وكانت مواليه لبلاد الفرس ، والأخرى فى بلاد الشام ، وكانت تابعةً لبلاد الرّوم ، وكانت الثالثة فى الوسط وهى إمارة " كندة " فى بنى أسد وأحلافها وكان ولاء الكنديين لملوك " غسان " لما كان حادثاً بينهم وبين ملوك " المناذرة " من الخصومة والعداوة ويمكن للباحثين أن يجدوا ظلاً للنفوذ السياسى فى هذه الإمارات الثلاث ، فقد كانت لهم إقطاعات وحرس دائم ومَسَالِح للجند تشبه من كل الوجوه ما يقوم فى الممالك الناشئة فى العصور المتمدنة .

وقد زهت قريش فى أوائل القرن السابع بعد اندحار الحبشة ، ورجوع " أبرهة الأشرم " بجيشه عن غزو " الكعبة " وازداد من ذلك الوقت نفوذها فى الجزيرة العربية وقامت بتحقيق كثير من المبادىء العالية التى قلما توجد إلا فى الأمم التى تكون قد بلغت من الرُّقِىّ العقلىّ ، والمدنية الإنسانية شأواً بعيداً من ذلك " حلف الفضول " الذى تعاقد فيه أشراف " قريش " على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً ، ولا حلىلاً ، ولا متنصفاً إلا أعانوه برفدهم ، وفضول أموالهم ، وقال رسول الله ﷺ " شهدت فى دار ابن جدعان حلفاً لو دُعيتُ إليه لأجبت " ومن ذلك أيضاً " دار الندوة " التى أُقيمت تِجاه " الكعبة " ، وهى " دار قصى بن كلاب " وكانت قريش لتَبرأ لها بأمر " قصى " تجتمع فيها للمشورة فى الجاهلية ، ولإبرام الأمور وبذلك سميت " دار الندوة " وذلك لاجتماع الندى فيها واجتماع القرشيين

فيها لاغتيال النبى ﷺ ليلة هجرته ، وهو أمر معروف ومشهور سجلته كتب السير والتواريخ .

ومن ذلك أيضاً " الحكومة ، والرفادة ، والسقاية والحجابة ، والسِّدانة والإفاضة " وكلها مناقب استأثرت بها جماهير " قريش " وامتد لها بذلك نفوذ على العرب جميعاً تظاهرت على الريادة أسباب قوية منها :

" جوارهم للبيت ، واشتهارهم بالتجارة " وما كان لهم من التجارة والبسطة "واكتسابهم لكثير من محاسن القبائل الوافدة عليهم فى موسم الحج ، وفى الأسواق التى كانت مطبقة بمكة وكأنهم فى الحملة يتهيأون بهذه العوامل وبغيرها من وحدة اللسان ، والاشتراك فى البيئة ، والجنس ، وانتشار النفوذ من حياة الهمجية والفوضى إلى استقبال العصر الجديد من الإسلام الذى جمع منهم الشمل ، ولمّ شعثهم ، وصيرهم أُمةً واحدةً يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ولم يلبثوا أن ملأوا الحياة رخاءً ، وعَدْلاً ، وأشرقت آفاق الأرض بعوالهم وطلائعهم الذين سرعان ما خفقت ألوية غزاتهم على أكثر المعمور من أقطار الأرض هنالك صارت العرب شعباً واحداً ، وأمة سياسية خالدة، أخذت مكانها بين كبريات الأمم فى التاريخ .

# الناحية الدينية

ليس فى وسع الباحثين أن يجدوا دليلاً قاطعاً على مبدأ التَديُّن لدى العرب ولا أن يعرفوا عن نشأة الديانات التى شاعت بينهم ، ولا عن أطوارها شيئاً يطمئن الباحث الحديث إلى سلامته من الريب ، والحدس ، والظن ، والتخمين ومما لا ريب فيه أن عبادة " الكواكب " كانت من أقدم العقائد العربية ، واشتهر عرب الجنوب من اليمنيين بعبادة " الشمس " كما ورد فى قوله سبحانه فى الحديث عن ملكة سبأ " بلقيس " ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [سورة النمل: ٢٤] وكانت عبادة القمر معروفة عند " عرب الشمال " من البدو الذين كانوا يعتمدون على الرّحلة بالليل ويهتدون بضوء القمر فى تلك المفاوز الموحشة وقد بقى فى الآداب والمعتقدات العربية ما يدل على مكانة " القمر " من بين معبوداتهم فى الجاهلية مثل تقليبه على " الشمس " وفى تثنية القمرين ، والاعتماد عليه فى الصيام والعدة ، والحج وعدد السنين والحساب .

وقد عبدوا "عُطارد" و"المشترى" **يقول تعالى** : ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ [سورة النجم:الآية١] .

**وقوله تعالى** : ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ (١) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ (٢) ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ (٣) إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤)﴾ [سورة الطارق: الآيات١ :٤] .

**يقول المفسرون** ، " إن المراد بالنجم هو " عُطارد " ويذكر لنا " أبو المنذر بن السّائب الكلبىّ " وهو من مؤرخى العرب فى القرن الثانى الهجرى فى " كتاب الأصنام " إن أول عهد العرب بعبادة الأصنام كان بعد إقامة " خزاعة " بمكة وسيادتها على الحرم وأن " عمرو بن لحى " سيد " خزاعة " كان قد ارتحل إلى " البلقاء " من بلاد الشام ، ووجد أهلها يسجدون لهذه الأصنام ، فسألهم عنها " هذه أرباب اتخذناها على شكل الهياكل العلوية لننتصر بها فدفعوا إليه " هُبل " وهو

أعظم أصنامهم ومن أشهر آلهتهم " اللات والعزى ومناة" وعداً أصنام وآلهة كثيرة تسموا بأسمائها ، وأضافوا أنفسهم إليها مثل " تيم اللات، وعبد يغوث ، وامرئ القيس ، وعبد شمس ، وعبد مناة " وقد نفى القرآن الكريم عليهم هذه العبادات فى كثرة كاثرة من الآيات القرآنية **منها قوله سبحانه** :﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة النجم: الآيات ١٩: ٢٠] **وقوله سبحانه**، ﴿ ...لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ ... ﴾ [سورة فُصِّلَت:من الآية٣٧] وبعض الطوائف من العرب كانوا يعبدون "الملائكة والجن " **يقول عز وجل** :﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [سورة سبأ:الآيات٤٠ :٤١].

## ظهور الزندقة :

وقد روى لأن قوماً من قريش كانوا يعتنقون الزّندقة وقد قبسوها من "الحيرة " وهذه الزندقة تقول بإلَهَين هما " إله النور" وهو أصل كل خيرو" إله الظُلْمَة " وهو أصل كلّ شرّ[1] . وهناك قوم من العرب أنكروا الأديان كلها ، وأنكروا الخالق ، والبعث والإعادة ، وقالوا بالطبع المجى ، والدهر المعنى وهى مقولة الملاحدة والدهريون الذين يؤمنون بأن الدهر هو مهلكهم " ما هى إلا أرحام تدفع وأرض تبلع"[2] ويقول القرآن على ألسنتهم : ﴿ ۞هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المؤمنون:٣٦-٣٧ ]

**وقوله سبحانه** ، ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ... ﴾

[سورة الجاثية:من الآية٢٤] .

## اليهودية والنصرانية :

وقد انتشرت اليهودية ، والنصرانية فى الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام وليس فى المصادر التاريخية ولا الأدبية ما يفاد منه تحديد الوقت الذى ظهرت فيه

---

١ ـ راجع المعارف لابن قتيبة الدينورى .
٢ ـ بلوغ الأدب للألوس .

هذه الديانات فى بلاد العرب . بيد أن النصرانية التى كانت منتشرة فى بلاد "اليمن " وفى قبائل " تغلب ، وقضاعة ، وغسان " ويقول علماء الأدب العربى " ويظن أنها دخلت إلى بلاد العرب فى القرن الرابع الميلادى ، وذلك بنقل القساوسة، والبطارقة ، وإن كان العرب لم يعتنقوا المسيحية ، ولم يدينوا بها ، وقد تسرب إلى الجزيرة العربية فى ذلك الوقت فرقتان كبيرتان من النصارى : وهما "النساطرة " وكانوا فى الحيرة و" اليعاقبة " فى " غسان " ، " الشام و" وقد اختلف المؤرخون فى أصل اليهود فبعض المؤرخين يقولون إنهم " عَرب " اعتنقوا اليهودية وبعضهم يقول " إنهم يهود هاجروا إلى بلاد العرب " **ويقول بعض المستشرقين** :

"إنّ اليهودية انتشرت قبل الإسلام بقرون كثيرة ، وأسست هذه مستعمرات يهودية ومن أشهرها " يثرب " وهى المدينة المنورة صلى الله على ساكنها سيدنا " محمد " وتسميتها جاءت بعد الاسم الذى كانت تسمى به من قبل ربعو " يثربُ" وكان يهود يثرب ثلاث قبائل وهى " بنو قريظة ، وبنو النضير ، وبنو قينقاع " كما أن أهم موطن للنصرانية فى جزيرة العرب كان " نجران " وهى الآن من أعمال المملكة العربية السعودية ، بيد أنها فى الحقيقة " يمنية الأصل " وكذلك " جيزان " فهما مدينتان يمنيتان ونجران مدينة تمتاز بالخصوبة ، وهى قريبة من الطريق التجارى الذى يمتد إلى " الحيرة " ومباهلة النبى ﷺ لوفد " نجران " شهيرة .

**يقول ياقوت الحموى**: " فى معجم البلدان " " ووفد على النبى ﷺ وفد " نجران " وفيهم السيد واسمه " وهب " والعاقب " واسمه " عبد المسيح " والأسقف " وهو " أبو حارثة " وأراد النبى عليه الصلاةو السلام مباهلتهم فامتنعوا ، وصالحوا النبى ﷺ فكتب لهم كتاباً، فلما وَلِىَ " أبو بكر " ﷺ أنفذ ذلك لهم فلما ولِىَ سيدنا " عمر بن الخطاب " رضي الله عنه أخلاهم، واشترى منهم أموالهم .

# فكرة التوحيد

ويرى **الأستاذ " أحمد أمين "** تابعاً فى ذلك الأمر المستشرقين أن ظهور "التوحيد" فى الجزيرة العربية لا يَبْدوَ أن يكون أثراً من آثار المسيحية ، أو اليهودية ويضيف إلى ذلك أن الأوطان السامية القديمة كانت المهد الأول للديانات الثلاث الكبرى التى ظهرت فى التاريخ وهى النصرانية ، واليهودية ، والإسلام " .

ولا ندرى أهُم فى جهالةٍ جهلاء ، وضلالةٍ عمياءْ ، أم أنهم يتجاهلون أن الله سبحانه وتعالى قد بعث إلى العرب أربعة من الرسل قبل ظهور هذه الديانات وهم " سيدنا " هود " عليه السلام وكان فى قوم عاد الذين كَانوا يقيمون فى الأحقاف وثانيهم سيدنا " صالح " عليه السلام، وكان فى " ثمود " وكانت منازلهم بالحجر وكذلك سيدنا " شعيب "عليه السلام وكان فى أهل " مدين " وإسماعيل " فى العرب المستعربة .

وقد حكى " القرآن الكريم " شيئاً عن مدينتهم وتاريخهم . وليس من المعقول أن تكون الجزيرة قد تجردت من آثار وراثية لرسالات هذه الرسل التى كانت قائمةً على أساس الدعوة إلى عبادة الله وتوحيده ، وأنه ليس للخلق ولا للأرض والسماء إله غيره سبحانه وتعالى جلّ فى علاه .

**ظهور الحنفاء :**

إنه من المؤكد أن هناك طبقة من الشعراء والكهان والأشراف قبل ظهور الإسلام قد فطنت وهديت بفطرتها إلى أن لهذا الكون إلهاً خلقه ، كما فطنت إلى أن الجمهرة العربية فى غواية منكرة ، فدعت إلى ضرورة الخروج بالعقلية العربية عن هذا الدّرك من الانحطاط ، وذلك بنبذ عبادة الأصنام ، والتخلص من عادات الجاهلية مثل" وأد البنات ، وشرب الخمر ، ولعب الميسر " وكان هؤلاء الحنفاء أو المتحنفين يدينون بالبعث ، ويؤمنون بالله وحده ، ويدعون إلى الحنيفية دين أبيهم " إبراهيم " عليه السلام وكان هؤلاء يسمون " التائبين أو الحنفاء " ومنهم على سبيل المثال لا الحصر " ورقة بن نوفل " و" قس بن ساعدة الإيادى " و" أمية

بن أبى الصلت " وقد سمع رسول الله ﷺ " قس بن ساعده الإيادى فى سوق " عكاظ " يخطب على جمل " اورق " يبشرهم برسول الله ﷺ ودين جديد قد أظلهم أوانه ، وأدركهم إبانه وقال فيه رسول الله ﷺ : " يرحم الله قُسّاً إنى لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمة وحده " .

كما نرى جماعة من الوثنيين قد سئموا وثنيتهم ، وأحسوا قصورها من حاجتهم الروحية ، فمالوا إلى الشك ، والإباحة ورأوا فى الحياة مهزلة غير مفهومة من الواجب أن تقضى فى لهو ، ونعيم ، واستهتار ، **نجد ذلك فى شعر الشاعر "طرفة بن العبد البكرى "** :-

ألا بهذا الزاجرى أحضر الوغى
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتى
فدعنى أبادرها بما ملكت يدى

**يقول :**

متى تأتنى أصحبك كأساً روية
وإن كنت عنها داعنى فعن وازدد

كريم يروى نفسه فى حياته
ستعلم إن متنا غداً أينا الصدى

فهذا شاعر قد استيأس من الحياة ، وشك فى الآخرة ووجد الخير فى اطراح الجبن ، والتعلق باللّهو ، وما يتصل به وإذا تركنا الشاعر " طرفة بن العبد البكرى " الذى يئس تمام اليأس نجد وثنياً آخر هو الشاعر " زهير بن أبى سلمى المُزنى " يحس بقصور الديانات التى يراها أمامه فى الجزيرة العربية ، بيد أنه لا يطمئن إلى أن الحياة عبث ولهو ، أو أن العالم خُلق سُدى ، وشرع يفكر فى نهاية هذه الحياة ، متشبثاً بفكرة الآخرة **فتراه يقول** .

| | |
|---|---|
| فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم | لِيخْفَى ومهما يكتم الله يَعْلَم |
| يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر | ليوم الحساب أو يعجل فينتقم |

فهو إذاً مطمئن إلى شيء بعد الدنيا من " حساب وجزاء " ولكن هذه الفكرة لا تقوم عنده على بُرْهان عَقليّ ، أو بحث قوى ، أو رأى دينى . لذلك نجده بعد ذلك يعود إلى اضطرابه ، فيورد لأفكاره القديمة .

**فيقول :**

رأيت المنايا خبط عشواء من تُصبْ     تمته ومن تخطىء يعمر فيهرَم

فالموت لديه مصادفة ، ومعنى هذا اضطراب العرب أو مفكريهم أمام هذه الديانات التى تعرض نفسها عليهم ، ثم حيرتهم فى اختيار أحدها ، وفى أيهما أشد ملاءمة لهذه الحال التى وصلوا إليها من أطوار حياتهم البدوية ، فهم فى حاجة إلى الهداية ، والإرشاد أو إلى مثل دينى أعلى لإشباع هذه الشهوة الروحية الثائرة وفى هذا الوقت تنتظم القبائل العربية أسباب متظاهرة لنهضة اجتماعية ، وعقلية ظهرت طلائعها بالميل الشديد للوحدة العامة ، والاشتراك فى النفور من الحياة بأعباء الفوضى ، والانقسام .

## الإرهاصات تسبق النبوة

وكان لأصحاب هذا المذهب الذى أومأنا إليه آنفاً وهم " طبقة الحنفاء " أو " المتحنفين " من الشعراء كثير الفضل ، وعظيم الأثر فى هذا التطّور السريع الذى أفضى بالأمة العربية إلى عدم الرضا بتلك الأديان الشائعة خاصة ، خاصة " الوثنية والرغبة الأكيدة فى النقلة إلى عهد من السلام ، والعرفان ينبعث الناس من خلاله فى معايشهم ، ووجوه منافعهم ، وهم فى حراسة الشرائع ، وحماية الأوضاع المهّذبة فكان ذلك إرْهَاصاً ، وتمهيداً صالحاً لظهور النبى المنتظر ألا وهو سيدنا محمد ﷺ

# ظهور الإسلام

إن الدّين الإسلامى الذى دَعَا إلى عبادة الله سبحانه وتعالى " لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللَّطيف الخبير " أساسه : شهادة ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وجعل الجهاد من أجْله فَرْضًا ، وأذنهم أنه لا يغفلا أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وبذلك وحّد بينهم فى العقيدة ، وجمعهم فى صعيد واحد للعبادة وكان هذا الاتحاد القلْبىّ هو النعمة الجُلى التى امتن الله بها عليهم حيث يقول لهم سبحانه :

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾

[آل عمران:١٠٣]

# الناحية الأدبية

لقد كان للحياة الأدبية مظاهر يجدر بمؤرخ الأدب أن يقف عندها قليلاً كى يستشعر القارىء ما كان لظهور الإسلام من مَدَدٍ فياض أكسبها رُقياً ، وإصلاح عظيم أفاض عليها نهوضاً وهى تنحصر فى الخطب القليلة المأثورة عنهم فى أقوال كُهْانهم وَكَوَاهِنهم ، وفى تلك الأمثال والحكم المشهورة والشعر.

أما الخطابة عندهم فكانت قريبةً من الشعر فى التأثير والقوة وإن كانت مقامات الخطباء لم يعرف عنها إلا القدر اليسير ولا شك أنه كانت لهم مواقف متعددة يستعينون فيها بخلابة ألسنتهم وهيبتهم وقوة تأثيرهم عند التأهب للقتال وفى شهود المواسم ، وعند التنافر إلى الحكام ، والمفاخرة بالأحساب والأنساب والوفادات إلى الملوك ، والسفارات بين القبائل لعقد الصلح وتأمين التجارات

واحتمال دِيَّات القتلى فى الحروب ، ومع ذلك لا يزيد جميع المأثور عنهم فى ذلك عما عرف لكاتب واحد من أدباء العصور المتأخرة .

وقد قيل إن " قيس بن خارجة " الذى اشتهر بالخطابة فى حروب داحس والغبراء سُئِل عما عنده فى حَمْلات " داحس " **فقال :**

" عندى قِرَى كل نازل وأمان كل خائف ، وخطبة من لدن تطلع الشمس إلى أن تغرب آمر فيها بالتواصل، وأنهى عن التقاطع . وإن خطيباً يستطيع ان يقف من طلوع الشمس إلى غروبها موقفاً واحداً يحبب الناس فيه إلى الوئام والتواصل وينفرهم من الانقسام والفرقة ثم يعاصر حرباً كما يقول المؤرخون أنها دامت أربعين سنة لم يكن جديراً بأن يغفله التاريخ ولا يعرف من آثاره إلا هذه الكلمات القليلة . وذلك بالضرورة دليل قاطع على أن النثر العربى فى هذا العصر قد تبدد وأفلت معظمه من التقييد والحفظ، وليس معنى ذلك أننا لا نؤمن بأن العرب فى هذه الفترة من جاهليتهم لم يكثروا من الخطب فى تلك المواقف المتعددة التى أشرنا إليها فيما سبق .

وقد تظاهرت الروايات على بعض آثار قليلة من الخطب كان لمعظمها علاقةً شديدةً بالتطور المنتظر للجزيرة العربية وتشمل نصوصها على كثير من المعانى الدينية كخطبة " قُس بن ساعدة " المشهور وهو خطيب العرب فى " عكاظ " وأسقف " نجران " المشهور وشبيه بما فى غرضها ومعناها وقد رواها " أبو على القالى " فى أماليه ، ويتصل بذلك شىء مما أثر عن " أكثم بن صيفى " وبالنظر لشهرته بين العرب بالرأى والحكمة اشتد الحرص على حفظ ما ينسب إليه ، من ذلك موقفه فى قومه من بنى تميم فى بدء ظهور الإسلام وإهابته بقومه أن يتبعوا

هذا الدين الجديد ويكونوا أول المساعدين على بث دعواه ونشر تعاليمه ، فى العرب وما ذكرناه عن الخطابة والخطب يتناول الكهانة والكهان .

ومواقف العرب فى المنافرات التى أشهرها ما وقع بين " عامر بن الطفيل" وعلقمة بن علاثة العامريين " فقد قيل إنهما تلاقيا وتنازعا الشرف فى حييهما وقومهما ، ثم اقبلا يتحاكمان إلى أشراف العرب حتى دفعا إلى " هرم بن قطبة الفزارى " ففصل بينهما بكلمته المشهورة وهى قوله لهما " أنتما كركبتى البعير الأردم تقعان إلى الأرض معا وتقومان معا"ولولا أنه قبل هذا الحكم قد خوف كل واحد منهما من صاحبه بما كان يظهره عند الخلوة بأحدهما من التضعيف له والتهوين من شأنه والإشادة بفضل صاحبه عليه وبعد المدى بينهما فى الفخار والشرف والمجد لصح أن ينقضا عليه حكمه بقول أحدهما فأيهما اليمنين؟ ولكنهما كانا يشفقان من هذه الحكومة ويخشى كل واحد منهما أن يقضى عليه .

وقد أثر كذلك من أقوال الكهان وأسجاعهم التى كانوا يعبرون بها الرؤيا ويفصلون بها فى الخصومة ما لا يصح أن يعتد به أو يتخذ دليلاً ، على قيمته ما كان لهم من الأدب المنثور لقلته ، وعدم غنائه فى هذا السبيل كالذى حفظ عن "شق وسطيح " الكاهنين واتفاقهما على تفسير رؤيا " ربيعة بن نصر الخمى " وما لاقاه فى ذلك من الإجبار بغزو الأحباش لبلاد اليمن .

أما موقف المؤرخ مما أثر عن العرب من الأمثال والحكم فقد يكون أحسن حالاً مما سبق لكثرة ذيوع هذه الأمثال والحِكَمْ ولقربها من الشعر فى سهولة التقيد والحفظ لاشتمالها على جمال التشبيه، وقصر العبارة، ولقيامها لهم بإفحام الخصم وإصابة الصواب ، وفصل الحجة عند اشتداد الجدل بين الخصوم وظهور الرغبة من

المتخاصمين فى الغلبة بالحجة والغلبة للمنازع ولذلك كانت حاجتهم ماسة إلى حفظ هذه الأمثال والحِكَمْ فبقى منها قدر صالح ، ولا يفوتنا هنا أن ننتبه على مقدار ما تدل عليه هذه الكثرة من الأمثال والحكم من جهة سهولة فتدعها عليهم وتقييدها لكثير من المشاهدات والوقائع عندهم ، فهى أقوى الأدلة على ما تأصل عند العرب من ملكة البيان وشدة مطاوعة اللّسان ، وتشير أيضاً إلى ثقوب ذهن ويقظة فطنة لكل ما وقع تحت الحس من المشاهدات والأحوال وهى فضلاً عن ذلك كله مشتقة من البيئة البدوية وممثلة لحالة الاجتماع العربى وأكثر ألفاظها مأخوذ مما كان يستخدمه العربى فى حياته العامة من سلاح ولباس وماعون ونحو ذلك مما يجرى مجرى الحكمة القائمة لهم فى كفهم عن الغرابة وهديهم إلى الرشد وقام الحكام المسلطين والقوانين الرادعة كقولهم : قبل الرماء تُملأ الكنائن " " إن العوان لا تُعلّم الخِمْرِة " " تجوع الحُرْة ولا تأكل بثدييها " " إن البلاء موكل بالمنطق " إلى غير ذلك كثير مما دون فى كتاب " أمثال الميدانى ، وجمهرة الأمثال " " لأبى هلال العسكرى " وأمثال " المفضل الضبى "

وأما الشعر فلم يكن للعرب فى حياتهم الأدبية أكرم مظهراً منه ، جعلوه ديوانهم ومستودع فخارهم وأيامهم ومآثرهم وأخلاقهم وعاداتهم ، ودياناتهم وعقليتهم ، وإن شئت فقل إنهم سجلوا فيه أنفسهم وقديماً انتفع الأدباء بشعر العرب فى الجاهلية فاستنتجوا منه بعض أيامهم وحروبهم وعرفوا منه أخلاقهم التى يمدحونها والتى يهجونها واستدلوا به على جزيرة العرب ، وما فيها من بلاد وجبال ، وسهول ووديان ونبات وحيوان ، وما كانوا يعتقدون فى الجن والأصنام والخرافات ، وألفوا فى ذلك جميعه الكتب المختلفة .

ولا يعنينــا أن نبحــث عــن أوليتــه ولا عــن روايتــه ، ولا عمــا يشــغل بعــض المجددين من البحث فى سبقه على النثر ، أو تقسيمه إلى قصصى وغنائى وتمثيلى واتخاذ بعضهم من هذا التقسيم معنى للحط من مقام الشعر العربى معتمداً فى ذلك على اتخاذ الأدب اليونانى مقياساً له فى الاستحسان والاستقباح لما يعالجه من البحث فى تاريخ الأدب العربى والشعر ، بدعوى أنه لم يوجد فيها قصص ولا تمثيل بهذا المعنى ، فذلك بالضرورة بعيد عن دائرة بحثنا الذى نستخدمه كمقدمة تمهيدية لتطور الأدب والموازنة بين الأدب الجاهلى والأدب الإسلامى الأموى .

وفى هذه الفترة نهض الشعر نهضته المشهورة ، وتظاهر شعراء القبائل المختلفة فى أنحاء الجزيرة على الاشتراك فى الإصلاح العام ، واقترن بذلك صيرورة اللغة العربية إلى وحدة لغوية جامعة متمثلة فى لغة قريش التى تغنى بأسلوبها الشعراء من الأشراف والصعاليك فى السهول والجبال ، وتسايرت بها مواكب القَرِيض فى المواسم والأسواق ، وعند الملوك والسوقة وفى الحروب والمفاخرات حتى لم تَخْلُ بادية من البوادى ولا مصر من الأمصار العربية من الشعراء والرواة الذين كانوا يحفظون الأشعار ويذيعونها فى الآفاق ويتناشدونها فى الأسمار والأسفار ، وكانت هذه الوحدة اللغوية مهيئة لبلوغ العرب إلى وحدة اجتماعية وانتشار الشعور بالحاجة الشديدة إلى ترك التنابذ والفرقة وتوجيه الفكر إلى الوئام والاتحاد ، توطئةً لاستقبال عصر جديد وعهد مقبل من الإصلاح أصاب العالم برجة عنيفة لم يقتصر أثرها على الجزيرة العربية ، بل تعداها إلى غيرها من الأصقاع العامرة يومئذٍ ، وهو ظهور الإسلام .

# الناحية الاجتماعية

أرانى مضطراً للكتابة عن الحياة الاجتماعية ، مُلِمّاً بها إلماماً مُجْمَلاً وإن أغفلها المنهج – لتفسير ما قد يكون لها من الأثر الأدبى الذى يبدو فى الشعر والنثر.

## مقومات المجتمع :

وتعنى بالحياة الاجتماعية ما يؤلف بين أفراد الأمة أو الجماعة من الأسباب والصلات ، التى تكونها الحياة الاقتصادية ، والسياسية والدينية والعلمية ، والأدبية ، تلك الأمور باقتراحها ترسم للأمة صورتها الاجتماعية ومنهجها الحيوى الذى يكسبها التقدم والسعادة ، أو يكتب لها الشقاء والانحطاط .

فالدين القويم ، والعلم الصحيح ، والخلق الكريم ، والعدالة الشاملة والحكومة الحازمة الرشيدة ، والعيش المنتظم المارق كل تلك إذا توافرت لشعب هيأت له من سعادة الحياة واطرادها ورقيها ما لا يحظى به شعب مغلوب على أمره ، يشقى بجهالة عمياء ، أو انحلال خلقى أو يدين لحكومة ظالمة خرقاء ، أو يحيا ناضب المورد ، سقيم العقيدة مفكك الأوصال ، ذلك ما نجد أمثلته فى التاريخ القديم والحديث .

## تحليل النفسية العربية:

نلاحظ أن الشعب العربى فى الجاهلية كان يحيا حياة منعزلة إلى درجة كبيرة ، فبقى لذلك محافظاً على ميزاته القديمة لا يكاد يغيرها ، وصار لذلك أقرب الشعوب السامية شبهاً بأصله الأول فى تكوينه الجسمى والنفسى جميعاً ، سمرة الصحراء ونحول الجسم وتوسط القوام ، وسعة العين ، وحدة الذكاء ، وصدق الحس وسرعة الغضب ، وضيق الخيال ، ومادية الحياة ، وقصر النفس العلمى والفكرى

يعيش من عقله فى وحدات فكرية هى خطرات طارئة مفككة ، فصار شعره لذلك أبياتاً فذة ، أو مقطوعات قصيرة أو قصائد ليست ذات وحدة موضوعية أو منطقية تلمس فى شعره اضطراب حياته ، وتبصر حياته ونفسه مصورة فى آثاره التى كأنها خياله تحكى عيشه .

ولا عجب ، فالأدب صورة الحياة الفردية والاجتماعية وربما كان ضيق الخيال ، وضعف المنطق ، ودنو المثل الأعلى للعرب مانعاً من إنشاء الملاحم القصصية التى تحتاج إلى تاريخ محفوظ ، وخيال بارع ، وتنسيق قويم ، وابتكار بديع كما نلاحظ أن الشعب العربى معروف بالمنافسة الشديدة بين قبائله وكان من نتائجها تلك الغارات المشهورة التى كانت ولا شك نتيجة لهذا الاحتكاك والتزاحم على الموارد القليلة فى البادية ، وَلما رُكب فى طبائع البدو فى معظم الأحيان إلى درجة من الاندفاع والتهور ، واتجهت فى النهاية إلى تقرير مبدأ الانتصار للعشير ظالماً كان أو مظلوماً ، ذلك المبدأ الذى هديه الإسلام ورده إلى فضيلة الاعتدال .

وكانت هذه البطولة إحدى الدعائم التى قام عليها الاجتماع العربى فى البادية ، وكانت سبباً فيما اتصل بأسماء كثير من أبطال العرب ومغاويرهم من مناقب الفخار والمجد التى تغنى بها الشعراء ، واتخذت مكانها بين الآداب الحماسية القديمة التى بقى صداها إلى الأجيال المختلفة ، وشداً على أوتارها غزاة المسلمين فى زحوفهم ووقائعهم المشهورة .

ثم كان من آثارها ظهور المراثى العربية والأشعار المنوهة بالبطولة والانتصارات الفاصلة ، وهى باب واسع فى تاريخ الحماسة القديمة لا يزال يجد

فيه المتأدبون شعاعاً مشيعاً للعاطفة الثائرة وقصصاً محبباً إلى النفوس النازعة إلى منازل الفخار والعزة كما نلاحظ أن الشعب العربى لم تتح له الحياة العلمية المنسقة التى تنشأ عن البحث والاستنباط ، وتخضع لقوانين منطقية وتجارب طبيعية ، وهذا يحتاج إلى عيش قارٍ ، وفكر هادئ ومنطق عريض ناجح ، لذلك كانت معارفهم معرضة للأخطاء والخرافات يتوارثونها ويوسعونها بما يتجدد لديهم ، وينقل لهم من سواهم .

هذا ، وقد كان فى الاجتماع العربى كثير من السوءات التى تُعد من أشدها دلالة على غلظ الأكباد وقسوة القلوب وَوأدِهِم البنات خشية العار ، ودفنهم أولادهم أحياءً خوفاً من الفقر وقد نعى ذلك عليهم القرآن الكريم ، وعَيّرَتهم به الأمم ، كما كانت عادة شرب الخمر ولعب الميسر فاشيةً فيهم إلى أن حرمهما الإسلام .

# أثر الإسلام

هذه صورة مجملة للمجتمع البدوى الجاهلى الذى كان منعزلاً فى جزيرته ولما جاء الإسلام غير من كل هذا ، فطالبهم بالجهاد ، والغزو فى ممتلكات الفرس والروم ، فخرجت جماهيرهم كالسيل المندفع فأزالوا الأولى وخضعوا الثانية، واحتلوا ما اتسع من الأرض يفلحونها ويزرعونها ، واستوطنوا المدن يتمتعون بخيرها ونعيمها وأنهارها وسهولها ، فتبدلت بهم الحال ، ولم تعد حياتهم حبساً على المطر يتشوقونه فى الجو المتلبد ، ويتسمعونه فى الريح المزجى وهكذا خلصهم الإسلام من خرافات الجاهلية وأوهامها التى قد رانت على قلوبهم ، وغيرَّ نفسياتهم فى عقائدها وعباداتها ، وعاداتها ، وأخلاقها .

أشرنا فيما سبق إلى أن الحياة العربية فى أواخر القرن السادس المسيحى وأول القرن السابع قد أخذت فى التطور سياسياً ، ودينياً ، وأدبياً واجتماعياً وبدأت تستحيل أثناء هذه الفترة ، وأتى عليها فلم يغيرها طفرة وإنما قواها ، وعدل اتجاهها بتعاليمه الدينية الحرة فأخذ يصقلها ويدفعها إلى الأمام بالتدريج ، وآية ذلك أن بقيت عادات جاهلية ، وتقاليد قديمة شائعة ، مدة القرن الأول للهجرة ومن مظاهر ذلك هذه الردة التى أعقبت وفاة الرسول ﷺ – ثم هذه الظواهر التى نراها فى حياة الحطيئة ، وفحول الشعراء الأمويين ، وعند جماعة من الولاة الإسلاميين الذين تجاهروا بالإثم والعنف فلامهم الخلفاء ووقفوا بهم عند حد الاعتدال كل ذلك يدل على أن الحياة الجاهلية لم تُمحَ من نفوس العرب تماماً بمجرد ظهور الإسلام ، وغنما بقيت آثارها مدة من الزمان .

ففى الناحية السياسية ، نجد أنها استمالت إلى جهاد باللسان وبالسلاح فتوح وحروب ، فلا قتال إلا فى نشر دين الله ، ولا غزو إلا فى إعلاء كلمة الله .

وفى ناحية الدين ، فقد استقر الإسلام واعترف به العرب واعتنقوه وتمت لهم وحدتهم الدينية .

بقيت الناحية الأدبية التى تعنينا هنا فقد أصبحت متصلة بالقرآن الكريم ، وكلام الرسول ﷺ – أولاً ، وبهذه النهضة الإسلامية ثانياً . لقد بهرهم القرآن ببديع أسلوبه ، ومحكم آياته ، وتلاؤم فواصلة ، فخروا أمامه ساجدين وطفقوا به يستعينون ومنه يقتبسون ، ثم رأوا فى كلام الرسول – وهو منهم – فصاحة متدفقة ، وبلاغة متمكنة يخاطب كل قبيل بأعلى ما عرف فى لهجته كأنه نشأ فيهم وَرُبِىَّ فى أوساطهم ، فأخذوا يقصدون قصده ، وينهجون نهجه حتى ازدانت ألفاظهم ببريق ألفاظه وأشرقت معانيهم بغُرَرِ معانيه .

وكان من أثر الإسلام أن هجرت ألفاظه وجدت ألفاظ وماتت ، وماتت معان ونشأت معان وعدل من أغراض إلى أغراض وما هذا بالمحتاج إلى إيراد للشواهد وضرب الأمثال للأمثال ، إذ سيأتى فى البحوث التالية .

# الأدب الإسلامي (تكوينه – عوامله)

لما كان الأدب صورة الحياة السياسية والاجتماعية والفردية كان من الطبيعى أن يتأثر بهذه الحياة الجديدة التى أحدثها القرآن فى الحياة الإسلامية الجديدة التى ظهرت فى تمدين الأدب العربى وتحضره ، فقد كان أدباً بدوياً يتناول الصحراء وما يلابسها من حيوان ونبات وجماد ، وهو بذلك فعل ساذج جاهلى لا تجد فيه تفكيراً مضطرداً عميقاً ، ولا خيالاً مركباً ولا عاطفةً عميقة ، فأخذ الإسلام – والقرآن – بيده وأحله محالٍ جديدة فى وادى النيل ودجلة والفرات وبلاد الروم والفرس ، وبذلك أخذ يكتسب من هذه البيئات والشعوب تمديناً وتحضراً بلين العيش ورقة المشاعر ، وكثرة المعارف فوجدت فى الأدب الإسلامى فنون وموضوعات حضرية تتصل بالسياسة والدين والتقاليد الجديدة ، كما وجدت أساليب ومعانى طريفة هى عنوان مدنية جديدة.

وانتشر الأدب فى هذه المواطن ، وقام بأسباب الحياة فيها فصار فيما بعد أدب بلاد الشام والعراق ومصر وإيران وشمالى أفريقية ، وقضى على الآداب واللغات القومية وحل محلها وصار يحمل اسم الأدب الإسلامى بعد ما كان يسمى الأدب العربى بما احتل من حضارات ، واحتمل من آفاق .

ومر على تكوينه تحرر الفكر البشرى ودعوته إلى التفكير والتخلى عن تقاليد الجاهلية وأوزارها إلى تعليم الإسلام وأخوّته العامة التى تؤلف بين النفوس والشعوب ولا تتعصب فى وجه أهل الكتاب ، الذين عاشوا مع المسلمين فى حوار وتعاون وأخوة لا ينكرها الإسلام ، كما كان للعلوم الإسلامية والنهوض بها – وذلك بسبب القرآن خدمةً لتحقيق دعوته وتشريعه أو لمجاراته حضارته الواسعة

المتشعبة ، أثر عظيم فى الأدب الإسلامى ، كما كان للحركات الفكرية ، والثقافات الأجنبية ، الفارسية والرومية والهندية ، أثر فى الأساليب العربية .

**وهناك آثار مباشرة ظهرت فى الأدب الإسلامى ، وكان لها طابع هذا العصر الجديد الذى يميزه من العصر الجاهلى ، ويمكن إجمالها فيما يلى : -**

١- اتخاذ الإسلام نفسه موضوعاً للأدب ، بالجدل حوله والدعوة إليه ، وتناول أحداثه ، وقد ظَهَرت هذه الظاهرة منذ الهجرة وقيام الغزوات ، فصار الدفاع عن الإسلام ومهاجمته مشغلة شعراء " قريش " والأنصار " ( مكة والمدينة ) ثم استحالت الفكرة فيما بعد، فصارت المعركة بين الإسلام وشعبة (من خوارج وشيعة ، وأمويين وعلويين وزبيريين ........إلخ ) .

٢- هذه الفنون التى استحدثها الإسلام ، وأخصها الشعر السياسى والهجائى والغزلى ، فقد كانت هذه الفنون بأوضاعها وخواصها الممتازة ظاهرة إسلامية دعت إليها أسباب ، نتناول شرحها بالتفصيل فيما بعد .

٣- وبين الديانات والشعوب الأخرى حين نهض الموالى ، وظهرت مسألة الشعوبية قوية فى القرن الثانى والثالث ، ثم تحققت مظاهرها لما نشأت الآداب والحكومات القومية .

وقد ظهرت هذه منذ واقعة " صفين " واستمرت إلى نهاية العصر الأموى وأحدثت آثارها فى الشعر وفى النثر ، أى فى هذه الخطب القوية الجزلة عند الخلفاء والأمراء ورجال الأحزاب المختلفة ، وفى الجدل حول المذاهب والآراء السياسية والدينية ، وفى المراسلات المطولة الجامعة ولاشك أن للقرآن فضلاً عظيماً فى بروز هذه الفنون وظهورها حقيقة ذات سهولة ورقة من جهة وجزالة وقوة من جهة أُخرى .

# القرآن الكريم

هو كلام الله القديم ، وهو كتاب الله وبيانه ، ووحيه وتنزيله به قصم الله ظهر كلّ شيطان مُرِيد ، وأذل به كل جبار عنيد هو الذى سمعته الجن فهتفت قائلة " أنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فلم نشرك به أحداً " هو الذى أحنى رأس الوليد ، والآن قلب " عمر " هو الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ويعد القرآن الكريم من الناحية الأدبية ، العامة والخاصة ، العامل الأول فى تكوين هذا العصر الأدبى الجديد ، وفيما تلاه من الأعْصُر ، فالقرآن الكريم هو الذى نقل العرب من البداوة إلى الحضارة ، فارتقى بذلك أدبهم وهو الذى وَصَلَهم بالأمم ، والثقافات الأخرى ، فأثرى بذلك شعرهم ، ونثرهم ، وهو الذى كون بهم إمبراطورية إسلامية كبرى ، فذاعت آثارهم واتسع أفقها ، وتعددت بيئاتها وهو الذى جعل العرب أو المسلمين يطبعون الحضارة العامة بطالع إسلامى خالد ثم هو من الناحية الفنية ارتقى باللغة وآدابها وفعل فى الأدب العربى خاصة ما فعله فى الشعب العربى أو الإسلامى عامّةً من تمدن ، وخصب فى العناصر والموضوعات وذيوع ، وتسجيل لمظاهر الحضارة فى العصور الوسطى وذلك حين انفرد بذلك الأدب الإسلامى بوجه عام .

لذلك كانت الخطوة الأولى فى دراسة العصر الجديد هى دراسة القرآن الكريم ، ولكن لما كانت الدراسات القرآنية عريضة لا تكاد تُحصى فإننا مضطرون هنا أن نقف عند النواحى التى تتصل بالأدب ، وكانت ذات آثار مباشرة فيه على أننا لإجمال ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ، بدلاً من الإسهاب والإطناب الذى لا يتسع له مثل هذا المؤلَف .

# معنى القرآن

إن لفظ القرآن فى اللغة هو " مصدر مرادف " للقراءة " ومنه قوله تعالى:
﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [سورة القيامة:١٧ :١٩]

ثم نقل من هذا المعنى المصدرى وجعل اسماً للكلام المعجز المُنَــزّل على سيدنا محمد ﷺ بوساطة " جبريل " عليه السلام على مدى ثلاثة وعشرين عاماً هى مدة بعثته ﷺ ، أو مدة رسالته ثلاث عشرة سنة فى مكة ، وعشر سنوات فى المدينة وهو من باب إطلاق المصدر على مفعوله ، ولفظ " قرآن " مهموز وإذا حذف همزة فإنما يكون ذلك للتخفيف وإذا دخلته " أل " بعد التسمية، فإنما هى للَمْح الأصل لا للتعريف . وهناك تسمية أخرى للقرآن الكريم وهى " الفرقان " وأصل " مصدر " كذلك ، ثم سمى به النظم الكريم ، تسمية المفعول ، أو الفاعل بالمصدر باعتبار أنه فارق بين الحق والباطل ، أو مفروق بعضه عن بعض فى النزول ، أو فى السور والآيات **يقول تعالى :**

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا (١)﴾ [سورة الفرقان:الآية ١]
وهنا الاسمان هما أشهر أسماء القرآن الكريم ويليهما فى الشهرة من الأسماء "الكتاب﴿الٓمٓ (١) ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة: الآيات ١: ٢] والذكر **يقول سبحانه وتعالى:** ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ...﴾ [سورة الزُّخرُف: ٤٤]" والتنزيل **يقول تعالى :** ﴿...تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)﴾ [سورة فُصِّلَت:من الآية ٤٢] " وقد تجاوز صاحب البرهان فى علوم القرآن حدود التسمية فبلغ بها خمسةً وخمسين إسماً وأسرف غيره فى ذلك حتى بلغ بها " نيفاً وتسعين إسماً " كما ذكره صاحب التبيان .

**وفى الاصطلاح :** هو الكلام المعجز المنزل على النبى ف المكتوب فى المصاحف والمنقول بالتواتر ، المتعبد بتلاوته . وهذا التعريف جمع بين الخصائص العظمى التى امتاز بها القرآن الكريم " وإن كان القرآن قد امتاز بميزات كثيرة سواها .

# نزوله

نزل القرآن الكريم فى ثلاث وعشرين سنة وهى مدة بعثة النبى ﷺ: ثلاث عشرة سنة فى مكة المكرمة وعشر سنين فى المدينة المنورة ، وقد نزل القرآن الكريم منجماً ، ومفرقاً لأسباب شتى ، ولحكمة بالغة **يقول سبحانه** :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [سورة الفرقان:٣٣].

**ويقول سبحانه :** ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾[سورة الإسراء:١٠٦]وكان أول القرآن نزولاً قوله سبحانه ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾

[سورة العلق:١ :٥

وكان ذلك فى شهر رمضان المعظم ، وقد نزل القرآن الكريم دفعة وجملة واحدة فى " بيت العزة " وفى ليلة القدر ، فلما كان القرآن ذا قدْر عظيم وشرف رفيع كان من المناسب لقدر القرآن أن ينزل فى مكان مناسب وعظمة القرآن فنزل فى ليلة القدر فى " بيت العزة " ثم أخذ " جبريل عليه السلام يتنزل به على سيدنا محمد ﷺ حسب الوقائع والأحداث . وهذا سر نزوله منجماً ومفرقاً . وليسهل على النبى ﷺ وعلى المسلمين حفظه فأول آية نزلت من القرآن فى شهر **رمضان قال تعالى :**

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة:١٨٥]

**وآخر آية نزلت هى قوله تعالى :** ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [سورة البقرة:٢٨١]"

أمـا القـول بـأن آخـر آيـة نزلـت مـن القـرآن الكـريم **هـى قولـه سـبحانه:** ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣].

هى خير ما نزل من القرآن الكريم فليس بحجة ، وليس هناك دليل على ذلك حيث إن المعروف والثابت أن هذه الآية لها مناسبة فقد قال يهودى لسيدنا " عمر بن الخطاب " ﷺ حين نزلت هذه الآية نحن معشر اليهود لو أن هذه الآية نزلت علينا لاتخذنا ذلك اليوم عيداً لنا ، فقال له " عمر بن الخطاب " ﷺ " والله إنى لأعلم الناس على من نزلت ، وفى أى يوم نزلت ، فقد نزلت على رسول الله ﷺ فى عرفات ، فى يوم عرفات عام حجة الوداع ، وهل هنا عيد أعظم من اجتماع المسلمين فى عرفات .

وقد نزل بعدها على النبى ﷺ " قرآن " حتى بأكثر من شهرين ، وقد ورد عن " ابن عباس " رضى الله عنهما ، وأخرجه النسائى عن ابن عكرمة أن آخر ما نزل من القرآن كله قوله سبحانه : ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة:٢٨١]

وعاش النبى ﷺ بعد نزولها " تسْعَ لَيالٍ " ثم لحق بالرفيق الأعلى وذلك لِلَيْلَتين خَلَتا من شهر ربيع الأوّل .

# جمعه وروايته

## جمع القرآن فى أيام الرسول ﷺ

كان رسول الله ﷺ حين تنزل الآية ، أو الآيات أو السورة يحفظها ﷺ ثم يسمعها للحاضرين من أصحابه فيحفظونها ، فكان كل ما ينزل يحفظ على الدوام . ولم يكتف رسول الله ﷺ بالحفظ بل كان يطلب كُتاب وحيه ، ليقوموا بكتابة ما نزل من القرآن ، وأشهرهم " عثمان ، وعلى ، وزيد بن ثابت وأُبَىّ بن كعب " رضى الله عنهم أجمعين فيكتبونه فيما يسهل عليهم من " العُسُب واللخاف ، والرقاع وقطع الأديم ، وعظام الأكتاف والأضلاع للحيوان فكان القرآن الكريم فى عهد رسول الله ﷺ مكتوباً فى هذه الأشياء ، مثلما هو محفوظ فى الصّدور مع ترتيب الآيات غير أن المكتوب هو محفوظ فى الصدور مع ترتيب الآيات غير أن المكتوب لم يكن مجموعاً فى مكان ، بل كان لدى أصحابه حيثما لحق بربه ﷺ.

ولم يزل كذلك حتى كانت " حروب الردة " فى زمن الخليفة " أبو بكر " رضي الله عنه واستمر القتل فى " واقعة اليمامة " بالقُرّاء " حيث قتل منهم"سبعون " قارئاً فخشى سيدنا " عمر بن الخطاب " رضي الله عنه على حَفَظَه " القرآن " أن يستشهدوا فى مواطن القتال ، فأهاب بأبى بكر رضي الله عنه أن يأمر بجمع القرآن ، فاستدعى رضي الله عنه "زيد بن ثابت " فقال له : " إنك رجل شاب ، وعاقل لا نفهمك ، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه يقول " زيد بن ثابت " رضي الله عنه " فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عَلَىّ مما أمرنى به من جمع القرآن "ثم قال " زيد بن ثابت " رضي الله عنه. فتتبعت القرآن أجمعه من " العُسَب ، واللخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة " لدى الصحابى الجليل " أبى خزيمة " الأنصارى رضي الله عنه لم أجدها عند غيره فكانت تلك الصحف لدى " أبى بكر " رضي الله عنه حتى لحق بالرفيق الأعلى ، ثم عند سيدنا " عمر بن الخطاب " رضي الله عنه فى حياته، ثم عند السيدة الفضلى " حفصة " بنت سيدنا عمر بن الخطاب إلى أن طلبها سيدنا " عثمان بن عفان " رحمه الله تعالى .

# جمع القرآن

## زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه

وفى عهد سيدنا " عثمان بن عفان " رضي الله عنه اتسعت الفتوحات وكثر العمران، وتفرق المسلمون فى الأمصار ، فكان كل إقليم يأخذ بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابة حتى ظهر اختلاف فى وجوه القراءة أدى إلى الشقاق ، والنزاع وكادت تكون فتنة فى الأرض ، وفساد كبير.

والذى حدث أن سيدنا " حذيفة بن اليمان " رضي الله عنه فطن إلى ذلك الأمر، كما فى رواية " البخارى " وهو يقاتل أهل الشام فى فتح " أرْمِينية " و"أذربيجان " مع أهل العراق ، فأفزعه هذا الخلاف ، ولم يكد يعود من غزوه هذا حتى أسرع إلى سيدنا " عثمان بن عفان " رضي الله عنه **وقال له ،** " أدْرك الأمة قبل ان يختلفوا فى كتابهم اختلاف اليهود والنصارى " فأرسل سيدنا " عثمان " رضي الله عنه إلى السيدة الفضلى " حفصة بنت عمر " وطلب منها الصحف التى كانت عندها ، وقد دُوِنَ فيها القرآن الكريم وذلك لنسخها ، وإعادتها " لحفصة " مرة ثانية فأرسلت " حفصة بنت عمر " الصحف إلى سيدنا " عثمان " فأمر " زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام القرشيين " رضى الله عنهم جميعاً أن ينسخوها فى المصاحف ، وكان مما قال للقرشيين " إذا اختلفتم أنتم وزيد فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان " قريش " فإنه إنما أنزل بلسانهم ففعلوا ، وكان ذلك فى خمسة مصاحف بعث بأربعة منها إلى " مكة " والكوفة ، والبصرة ، والشام ، وأبقى المصحف الخامس لديه بالمدينة المنورة . ثم أمر بكل ما عدا ذلك أن يُحْرق حفاظاً على كتاب الله من التحريف ،أو الزيف ، ثم ردّ الصحف القديمة جميعها إلى السيدة"حفصة بنت عمر" وعرف مصحفه بالمصحف "الإمام" أو مصحف "عثمان" .

# أسلوب القرآن المكى

قبل الخوض فى غمار المكى ، والمدنى نودّ أن نُعَرِّف المكى والمدنى ، والمدنى هو ما نزل بالمدينة المنورة والصحيح والراجح هو : أن المكى ما نزل قبل الهجرة ولو كان نازلاً خارجها ، والمدنى ما نزل بعد الهجرة ولو كان نازلاً خارجها .

لقد بدأ نزول القرآن الكريم فى مكة مع البعثة المحمدية ، فاصطدم بالوثنية القرشية ، وكان بطبيعة الحال شديداً عنيفاً على هذه الجهالة الدينية الوضيعة ينذر العُصَاةُ ويبشر المسلمين ، ضارباً الأمثال بهلاك الأمم التى طغت وكفرت بالرسل ، لافتاً الأنظار إلى آثار الأمم السابقة الهالكة ، وكان مع ذلك يضع الأصول العامة للدّين الجديد ، بدلاً من التقاليد الوثنية ، ولذلك غلب على " القرآن المكى " هذه الموضوعات :

**أولاً : التوحيد** – لا إله إلا الله

**ثانياً : الرسالة** : محمد رسول الله ، والقرآن وحى الله إليه .

**ثالثاً : البعث** : فالموت يعقبه اليوم الآخر الذى يحاسب فيه الناس على ما قدموا فى الحياة الدنيا .

**رابعاً : الجزاء** : فالجنة للأخيار ، والنار للأشرار هذه الدعوة القرآنية فى مكة تستلزم أسلوباً خاصاً ، فكان هذا الأسلوب قوياً وموجزاً ، قصير الآيات والسور ، فيه السجع ، أو ما يشبهه من " ازدواج وموازنة " وهو أسلوب موسيقى عنيف ، لأنه وعيد وإنذار ، وإيقاظ لهذه النفوس التى تصنع الأصنام ثم تسجد لها ، وتعبدها من دون الله ، وهو أسلوب الخطابة الثائرة ، والغاضبة أيضاً ، وإن لم يكن من نوع الخطابة المعروفة للجاهليين .

# القرآن المدنى

لما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة ، ونشطت الدعوة واستقر الإسلام بعد الغزوات الكبرى ، أخذ القرآن المدنى يضع للمسلمين أصول الشريعة ، ونظم الحياة السياسية ، والاجتماعية ، والدينية ، ويعلمهم شعائر الدين ، وقوانين الأسرة والتعامل ، وقواعد القضاء والحكم فصارت له بذلك موضوعات أُخرى لا يعتمد على عنصر الشعور وحده ، وإنما تعتمد على العقل والروية ، فاستلزمنا لذلك هدوءاً وسعةً فى التعبير وكان الأسلوب لذلك مبسوطاً ، ومطولاً ، وهادئاً طويل الآيات والسور ، ومفصلاً تفصيلاً طويلاً إلا أن يجادل اليهود ، أو المنافقين فتعود إليه شدته لأنهم كانوا معاندين ، أو كائدين .

ومن هنا قلما نجد فى القرآن الكريم من حيث صلته بمواعيد نزوله أو بموضوعاته العامة .

# القرآن الكريم
# ليس بشعر ولا نثر

إن القرآن الكريم ليس بشعر، ولا نثر، فليس هو من " بحر الطويل " أو"البسيط " أو " الوافر " وإن وردت فيه آيات على هذه الأوزان العروضية المعروفة ذلك لأن الشعر يجب أن يقصد لذاته، وأن يؤلف من هذه المقطوعات، والقصائد ذات الوحدة الوزنية العروضية المعروفة مثلما هو واضح معروف.

وكذلك ليس القرآن الكريم من النثر المعروف " المسجوع " أو " المرسل " وليس من سجع " الكُهّان " ذلك الذى كان معروفاً لدى " قس بن ساعدة الإيادى " وليس من المرسل الذى عرفه الكتاب فيما بعده ولا الذى نعرفه فى أحاديث الرسول ﷺ، وكلام الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وخطب الخطباء، فهو مخالف لهما أو هو كما يقول بعض المستشرقين – وسط بينهما ولكن مع ذلك " كلام موسيقى " له طابعه الخاص به يشبه الوزن، ويمكن تبيان خواصه الموسيقية العامة فى نواحٍ أربعة، والقرآن يخالف بها الكلام النثرى المعهود.

# الموسيقى القرآنية وخواصها

إن للموسيقى القرآنية وقع وأثر عظيم فى النفوس خاصة لدى المتذوقين لآياته ، والفاهمين لكلماته فترى هؤلاء قد سرت معانى القرآن إلى قلوبهم بمجرد مصافحة الآيات لآذانهم . **يقول سبحانه،**

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [سورة القمر:١٧] " فانظر إلى بدء الآيات والسور فى **مثل قوله سبحانه ،**

**أولاً** : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ " و ﴿ حم ﴿١﴾ ﴾ [سورة غافر:١] و ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [سورة الإسراء:١].

**ثانياً** ، نهاية الآيات كقوله سبحانه " يَعْلَمُونَ " " يُؤْمِنُونَ " " عَصِيًّا " و " نَجِيًّا " و " الْمُهْتَدُونَ " .

**ثالثاً** ، فى داخل الآيات ، والجمل تجد تناسقاً موسيقياً بين الحروف ، والكلمات المتقابلة مثل قوله سبحانه ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [سورة النبأ:١ :٥]فإننا نرى أن بين كل جملة وأخرى " تقابل " موسيقى فى عدد الكلمات والحروف والحركات .

**رابعاً** ، العبارات ، أو الأسلوب : وتتألف العبارات أو الأسلوب من جمل ليست مرسلة تماماً ، وليست مسجوعة تماماً ، إذ ليس فى آخرها قرائن ، وليست خالية من التقسيم الذى يشبه جمل السجع .

ففى القرآن " الفواصل " التى تقابل " القوافى " فى الشعر و" القرائن " فى النثر المسجوع ، ومن هذا الوجه يسمى " نقاد الأدب " الحديث " القرآن قرآناً " يعنى أنه فن يخالف " فنّى " المنظوم . والمنثور " .

**ويراه فى جملته موزعا بين السجع ، والإرسال ، والموازنة بقوله تعالى،**

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾[سورة الأحزاب:٧٢]"

فهو نثر مرسل ، **وقوله تعالى** : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾[سورة الشرح:١: ٣] وهنالك ذكرك نثر مسجوع ، وقوله سبحانه ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾﴾[سورة النبأ:٣] هو نثر موازن أو مزدوج .

## الموسيقى القرآنية

ومهما يكن من هذا الخلاف ، ودواعيه ، فهناك صفة موسيقية سائدة فى أسلوب القرآن الكريم يخالف بها المنظوم ، والمنثور ، هذه الصفة نجدها فى آخر الآيات وفى الصلة بينها ، فعندما نقرأ القرآن لا نجد أنفسنا مسترسلين استرسالاً سهلاً ، إنما ننتقل بين آيات وفواصل متناسبة ذات نظام أو تيار موسيقى خاصّ طولاً وقصراً إلى حَدّ أنك تستطيع فى الآيات القصار تبين هذه الملاءمة فى عدد الحروف والكلمات وأوزانها وتجد التناسب الموسيقى بين الآيات المتوسطة والطوال كذلك ، وكل سورة – مهما تكن – فهى مقسمة أقساماً طبقية يحسن الوقوف عندها ، هذه الأقسام هى الآيات فلست مختاراً إلا أن تكون مريضاً أو مُجْهوداً فى أن تجد هذه المقاطع الطبيعية التى تستطيع التنفس عندها .

فالقرآن الكريم مفصل تفصيلاً طبيعياً يضطرك لأن تقف عند فواصله ، إلا أن تكون فى حاجة إلى الإسراع .

# فنون القرآن

وهناك نقطة ثالثة تتصل بالأسلوب وهى اختلاف الأساليب باختلاف الفنون العديدة التى استحدثها أو قواها " القرآن الكريم " ففى القرآن الكريم نجد " القصص ، والحوار ،والتمثيل ، والوعظ ، والتقرير ، والمديح ، والهجاء " ولكل فن منها أسلوب معروف ، ودراسة هذه الأساليب تحتاج إلى فراغ طويل فأدار الحوار بالبراهين العقلية ، والخطابية وفصل فيه القول تفصيلاً رائعاً جَزْلاً، وقص فى سهولة وروعة ، وضرب المثل ، والحكمة موضحاً ، وواعظاً وَشَرَعَ للناس شعائر الدين، والدنيا ، ومدح ، وهَجَا كلّ ذلك فى سبيل غايته التى نتناول الكلام عنها هنا وفى هذا المضمار.

# أغراضه وغاياته وفنونه

حين نوازن بين الشعر ، وبخاصة الشعر الجاهلىّ ، وبين القرآن الكريم من حيث الغاية فإننا نجد فرقاً واضحاً فالشعر مع اختلاف فنونه ، وأغراضه من مديح ، وهجاء وفخر ، وحماسة ، ورثاء وغزل ، إنما يعبر عن لحظات شعرية طارئة متباينة لا تخضع لوحدة عقلية معينة وتنتهى غايته إما عند حد التعبير وكفى ، وإما عند التأثير فى السامعين تأثيراً قد يكون محموداً ، وقد يكون مذموماً ولكن القرآن الكريم له هذه الأغراض ، أو الفنون التى أومانا إليها قبلاً وهى كثرة كاثرة من " قصص ، ووصف ، وحكم ، وتشريع ، وهجو ، وثناء " لكنها فى الوقت نفسه ذات وحدة ، أو فكرة رئيسية تسيطر عليها ، وتنتهى لديها من أجلها نزل القرآن الكريم ، وجاء الدين الإسلامى وهى فكرة التوحيد .

فالدعوة إلى التوحيد توجد صريحة مستقلة قبل كل شيء ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [سورة الإخلاص:٤] ونجد الوعظ ، وما يتصل به من ترغيب وترهيب يدور وينتهى إلى الإيمان بالله والواحد الدّيان .

والقصص لا يقصد به التسلية ، أو الفكاهة ، بل هو للإذكار ، والاتعاظ وإقامة الدليل على قدرة الله تعالى ، وما قص به شؤون السابقين ممن عصوا وطغوا ، وبغوا ، وعاثوا فى الأرض فساداً ، والله لا يحب الفساد .

أما الذم فهو منصب على جماعات عارضت الدين ، وناصبته العداء والحرب ، سراً ، وعلانيةً ، فهو يذم المنافقين ، والنصارى والمشركين ، لا رغبة فى الذم لذاته ، ولكن لإنكارهم التوحيد والمدح إنما هو لأفراد ، وجماعات قبلُوا الدين الجديد وأيدوه بأموالهم ، وأرواحهم ، وأبنائهم ، وبذلوا فى سبيل رفعته كلّ غَالٍ ومرتخص ، فهو يثنى عليهم ، ويعدهم بأحسن الجزاء والمثوبة ، وليس ذلك حباً للمديح ، ولكن لقبولهم فكرة التوحيد حتى فى التشريع المتصل بالزواج ، والطلاق والبيع والشراء ، والسياسة المتصلة بشئون الجماعة الإسلامية وغيرها كل ذلك لتكوين شعب مؤمن بالتوحيد ، ويعيش فى ظلال فكرته الأساس ، ودينه الصريح وينقلها من جيل إلى جيل .

فالقرآن الكريم يجمع بين اا وحدة الفنية الخالصة ، وبين التنوع الذى يظهر فى هذه الفنون المتباينة التى احتواها القرآن الكريم . وخلاصة هذه الفكرة الإجمالية هى أن القرآن الكريم واحد فى غرضه ، وفكرته ، وأساسه ، ومتنوع فى فنونه ، وأبوابه .

أما غايته الدينية وسياستها وهى نظرة موضوعية ، وشكلية فقد كانت جديدة أيضاً ، لأن القرآن دَعَا إلى دين جديد لم يكن معروفاً من قبل ، ودعا فيه إلى مُثل عليا، وتعاليم واضحة كاملة إيجابية يقيمها على أنقاض الوثنية أو المسيحية، أو اليهودية المشبوهة ويؤدى ذلك بأساليب متباينة حواراً ، وقصصاً وتمثيلاً ، وتقريراً ، وبَرْهَنةً ، إلى نحو ذلك من سبل الإقناع والتأثير.

ويمكن ملاحظة ذلك بالنسبة للعرب الذين ظهر فيهم الإسلام ، ونزول القرآن . وإذا قمنا بموازنةً بين القرآن ، والشعر الجاهلى ، فهذا الشعر لم يكن يعرض للناحية الخلقية ، ولا للمذاهب الدينية ، وما يروى عن بعض الشعراء أو الكهان – إن صح – لا يدل على مذهب واضح تام ولا على فكرة ناضجة معقولة تقوم على وحى أو دراسة وجميع ما ورد منها فكرة ضيقة لا خصب فيها ولا نماء بل تدل فقط على الشك ، والحيرة ، والقلق ، وعدم الاطمئنان إلى عقائد العرب ، والطمع فى مثل أَعْلَى يلائم حاجة هذه النفس العربية المتطورة – فخطبة" قس بن ساعدة " الإيادى تُـــومِىء إلى وجوب التبصر والاعتبار بالكون ومظاهره ، ولكن إلاَمَ يدعو وما عقيدته ؟ وما مثله ؟ كل ذلك غير واضح ولا مفهوم كذلك الذين يسمون بالحنفاء فعن كل ما يعرف من أمرهم هو أنهم كانوا يكرهون الحياة الجاهلية وما فيها من " سَفه ، وقَسَاوة ، وغلظة ، وجفاء " عن المثل العُلْيا ، وكانوا غير مطمئنين إلى اليهودية والمسيحية ، مع أنهم لم يكونوا يعرفونهما مِعرفةً تامة فكل ما كان هو أنهم يتوقعون شيئاً جديداً يغير هذه الحالة ولكن ما هذا الشىء الجديد ؟ لا يعرفون هذا كله على فرض صحة آثارهم المروية لنا .

# وضوح أفكار القرآن

أما القرآن فقد جاء بأفكار، وأغراض غاية فى الوضوح والدقة، لا سبيل إلى الشك والحيرة فيها، ولا يختلف فى فهمها اثنان، فهو ينكر الحياة الجاهلية فى جملتها إنكاراً تاماً، لكنه يعرف لماذا ينكرها، وما ينكر منها، وما الذى يريد وضعه بدلاً منها، فهو ينكر عبادة الأوثان لأنها لا تلاءم كرامة العقل البشرى الذى أنعم الله به على عباده وهم محاسبون على هذه النعمة، فإنه من غير الملائم لكرامة الإنسان أن يدين لحجر لا ينفع ولا يضر، ولا يسمع، ولا يبصر، ولا يعقل فهذه الفكرة جلية واضحة فى القرآن الكريم وغير خافية على ذى لُب. فالقرآن لا يدعوهم إلى ترك الأوثان فحسب، بل يهدم لِيَبْنى، يهدم عبادة الأوثان ليقيم مكانها عبادة جديدة يتقدم بها الناس إلى إله واحد موجود عالم قهار، فقد أحدث هذا العالم بعد أن لم يكن وصور ماضية أحسن تصوير، وأجرى ما فيه على قوانين هى أبدع ما يمكن أن يتصوره الناس، وهو يكرر هذه الأشياء، وفى كل مرة يزيدها وضوحاً وجلاءً لا يحتاج فى فهمها أن يكون الإنسان عَالِماً، أو متفلسفاً أو من خاصة الناس وإنما هى دعوة جلية وواضحة ومبسوطة لأنها موجهة إلى الناس جميعاً.

وكما أن القرآن الكريم يجادل هذه الدعوة مجادلة واضحة ومفهومة، تجده كذلك يستدل على بطلان عبادة الأوثان بدلائل ميسرة وسهلة وواضحة ومفهومة **يقول تعالى:** ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾

فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾

[سورة الغاشية:١٧ :٢٦].

فهو يتجه إلى الناس على اختلاف طبقاتهم واتجاهات تُلائـــم هذه الطبقات ، وهو يقدر أن فى العرب أناساً ليسوا وثنيين تركوا الأوثان إلى عبادة الله على نحو لا يراه ملائماً للحق ، ولا للطبقة الإنسانية ، فهو يهاجم الوثنيين ، ويهاجم ما فى المسيحية من مُنافاة للوحدانية ويهاجم أيضاً ما أدخله اليهود على يهوديتهم من باطل وزور ، وهو يناقشهم جميعاً مناقشةً عقلية تُلائم عقلية اليهود ، والنصارى من العرب .

وهكذا نجد القرآن الكريم مجدداً فى غايته بفكرة عالية واضحةً كل الوضوح، وميسرة للناس مهما اختلفت درجاتهم من الثقافة وعقلياتهم من الرقى .

# تأثر العرب بالثقافة القرآنية

هذا اللون من الفِكْر، والدعوة إلى مثل أعلى لم يكن معروفاً لدى العرب فليس غريباً ، ولا عجيباً ، أن يكون لهذا الكلام ،ولما فيه من تجديد أثر بالغ فى النفوس العربية فيجعلها تعيش فى حالة انبهار تام وخاصة بعد انتهاء الخصومة ، وزوال الخلاف ويطمئن الناس إلى قراءة القرآن ، والتفكر فيه بهدوء واطمئنان حتى يكون الحكم عليه عادلاً ، فإذا ما تحقق ذلك اطمأن الناس وآمنوا به أنه من عند الله ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً .

وليس غريباً أيضاً إذا قرأوه ، وتدبروه أن تتغير عقلياتهم تغييراً تاماً ، وذلك لبعد الفارق بين ثقافة القرآن وتلك الثقافة الجاهلية التى لم تتناول إلا الصحراء والإبل والظباء وهذه الخصال البدوية التى تدخل الشعر مديحاً وهجاءً – فأين ذلك من كلام يتناول الفكرة الدينية كأقوى ما يمكن ، وبأساليب متباينة منها السهل والصعب والقصير ، والطويل ؟!! .

**بالإضافة إلى ذلك** أن الأساليب التى يتخذها القرآن لتحقيق هذه الفكرة الدينية تختلف اختلافاً فى غاية الخِصْب ، والفناء ، فهو يثبت ما يلجأ إلى الجدل العقلى مرةً وإلى ضرب المثل مرةً أخرى ، وإلى القصص حيناً ، وإلى الإشارة إلى ما سبق فى الكتب الدينية المقدسة حيناً آخر ، وفى هذا كله يأتى العرب بأشياء جديدة لم يسبق لهم معرفتها فهم لم يعرفوا قبلاً أخبار الأنبياء ، ولم يتعودوا هذه الأمثال التى يضربها لهم القرآن . وهكذا نجد القرآن الكريم جديداً فى " أساليبه ومعانيه ، وأغراضه وغايته " وكان من المنتظر أن يقلب حياة الأمة العربية ويغيرها سراعاً وبقوة ، ولكن هذا التأثير سنتناوله إن شاء الله فيما بعد .

# بلاغته وإعجازه

## لا تفاوت بين آيات القرآن الكريم

لا خلاف بين العلماء على بلاغة القرآن ، وإعجازه ، بيد أن بعضهم يذكر قائلاً : إن هناك تفاوت فى آيات القرآن الكريم فبعض آياته أبلغ من بعض ، وهذا فى رأينا غير صحيح ، لأن الحكم على آية بالبلاغة متصل بظروف الآية ، وبالذين وجهت إليهم ، أى انه يتصل بالمناسبة التى لابستها ، فإذا درسنا القرآن الكريم على هذا الأساس ظهر لنا أن آياته كانت تنزل مُلاَّئِمةً للظروف التى ظهرت فيها وبذلك يتحقق لها معنى البلاغة من كل وجه .

ولكن مدخل الشبهة على هؤلاء أنهم يرون آيات منها سرد لأسماء ، أو فيها تكرار ، أو تنظيم ، وهذه يرونها أقل روعة من آيات أخرى فيها حُسْن تصوير أو إيجاز ، أو تمثيل ، أو كناية ، أو غير ذلك فبذلك يفرقون بين قطعة ، وقطعة أو بين فن، وفن غافلين عن هذه الملاءمة التى أومانا إليها ، وبذلك يفاضلون بين آيات القرآن بلاغياً ، وهذا مصدر الخطأ ، وسوء التقدير

وعلى ذلك فأول نقطة نذكرها لدى الكلام على بلاغة القرآن الكريم هى ملائمته للأحوال التى ظهر فيها ، من حيث الزمان والمكان ، والجنس ، ونفسية المخاطبين ، والحال العامة للبشرية كلها فى كل زمان ومكان . وهناك بحوث تتصل بذلك وهى " أسباب النزول " فهى تدل على مقدار الملاءمة بين موضوع الآيات ، ومعانيها ، وأساليبها ، وبين المخاطبين فى كلّ أحوالهم ، فإذا تقدمنا قليلا صادفتنا هذه الفنون البيانية التى أومأنا إليها آنفاً ، وكانت جديدة رائعة وَمُلاَّئمِة لغاياتها ، ومحققة لما ترمى إليه ، وأما إذا وقفنا عند خواص الأسلوب فهناك أشياء كثيرة وسنشير إليها بإذن الله تعالى بشىء من الإيضاح .

# فنون القرآن البيانية

## الأمثال

هذه أمثال قرآنية ، والتى سارت حُججاً حاسمةً كما هى زينة الكلام وحسن وجمال **مثل قوله سبحانه** : ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ...﴾ [سورة الأنعام:٦٧] و" كل حزب بما لديهم فرحون " **وقوله تعالى** :﴿...ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الحج:٧٣] و﴿... تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ...﴾ [سورة الحشر:١٤] و﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ...﴾ [سورة المائدة:٩٩]، و﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ ...﴾ [سورة يونس:٣٩] و﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ ...﴾ [سورة الروم:٤١] و ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[سورة المدثر:٣٨] .

## التشبيه

وها هو ذا تمثيله التصويرى الرائع الذى يعد مُثلاً عاليةً فى إبراز المعنويات فى صور حية دقيقة ، **يقول تعالى** :

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾ [سورة الكهف:٤٥].

**ويقول سبحان،**

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة إبراهيم:٢٦] إلى غير ذلك مما هو كثير وشائع .

## الكناية

وهذه الكنايات القرآنية التى تستعمل حيث لا يحسن التصريح ، وتؤدى المعانى أحسن أداء .

**يقول سبحانه** : ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ...﴾ [سورة فصلت:٢١] وهى كناية عن " الفَــرْجُ " أى وقالوا لفروجهم لم شهدتم علينا فكَنَــى بالجلود عن الفروج . وهى غاية فى الجمال ، والروعة وقوله سبحانه " ﴿...وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ..﴾ [سورة البقرة:٢٣٥]" يعنى نِكَاحاً ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ...﴾ [سورة الأعراف:١٨٩] " كناية عن " آدم " عليه السلام . **وقوله عز وجل** ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ ...﴾[سورة ص:٢٣] يعنى إمراةً **وقوله سبحانه،** ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [سورة الزُخرُف:١٨] كناية عن النساء ينشأن فى الترف، والزينة الشاغلة عن النظر فى الأمور .

## التعريض

والتعريض لون من ألوان الكناية التى أومأنا إليها آنفاً ومثاله **قوله سبحانه،** ﴿...قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ...﴾ [سورة التوبة:٨١] فإن المقصود بذلك هو التهديد للمتخلفين عن القتال ، **وقوله سبحانه** : ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ...﴾ [سورة الأنبياء:٦٣] بل فعله كبيرهم هذا سخرية به ، وبهم **وقوله تعالى** : ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى ...﴾[سورة يس:٢٢] يعنى مالكهم إلى غير ذلك مما ورد فى القرآن الكريم .

# الإيجـــاز

والإيجاز لون من الألوان البلاغية الواردة فى القرآن وهو باب دقيق به يتفاضل البلغاء ، وفيه يتنافسون ومثاله **قوله تعالى** : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ... ﴾ [سورة البقرة:١٧٩] .

وقد كان للعرب حكمة يعجبون بها ، ويعدونها من أوابد الكلم وهى قولهم " القتل أنفى للقتل " فلما نزلت هذه الآية القرآنية تضاءلت أمامها حكمة العرب وظهر فيها ضعف المخلوق أمام جبروت الخالق سبحانه وتعالى فإن الآية كلمتان وهما " القصاص ، والحياة " وكلمة العرب أربع ، والآية بريئة من التكرار الحاصل فى كلام العرب وفى الآية ترغيب فى القصاص بذكر " الحياة " المحبوبة وجعلها نتيجة له . وفى الآية إظهار للعدل بذكر كلمة القصاص كما تبين الآية أن القتل ليس تشفياً ، بل هو عدل وفى الآية تنكير لكلمة " الحياة " وهو للتعظيم ، والحكمة خطأ إذ ليس كل قتل أنفى للقتل ، فإن ذلك يشمل الاعتداء وأن الذى ينفى القتل هو " القصاص " .

**ومن أمثلة " الإيجاز " قوله تعالى** : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [سورة الأعراف:١٩٩] .

وقد جمع الله تعالى فى هذه الآية " مكارم الأخلاق " **وقوله سبحانه** ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ... ﴾ [سورة الأنفال:٥٨] ومما ذكرناه آنفاً يستبين لنا بوضوح وجلاء تامّين أنه لا يستطيع بليغ مهما أوتى من قوة البيان أن يعبر عن هذا المغزى بهذه الألفاظ حتى يصل مقطوعها ، ويبسط مجموعها ويظهر مستورها ، فيقول إن كان بينك ، وبين قوم هُدنة فَخفْت منهم خيانة أو نقضاً

للعهد والمواثيق التى شرطت لهم ، وأذنتهم بالحرب لتكون أنت وهم فى العام بالنقض سواء ، **ومنه قوله سبحانه :**

﴿ فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ... ﴾ [سورة يوسف:٨٠] ومنه قوله سبحانه ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ... ﴾ [سورة الحجر:٩٤] **وقوله:**

﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (١٩) ﴾ [سورة الواقعة:١٩] وهكذا مما لا يمكن استيعابه شأن القرآن فى كل مناحيه .

وفى القرآن الكريم من ألوان البديع ما يطالعنا به كتاب " البديع " لابن المعتز وكذلك فى كتاب " إعجاز القرآن " للباقلانى ، وما تناوله بالنقد والتحليل للإمام عبد القاهر الجرجانى فى كتابيه " دلائل الإعجاز " و " أسرار البلاغة " .

# إعجاز القرآن

هذه البلاغة التى أو مأنا إليها توصلنا إلى " الإعجاز للقرآن " وهى مسألة ذات تاريخ طويل ، ومباحث شتى ، وآراء متناقضة فمن قائل " بالصُّرفة " ومن قائل " بالغيوب " ومن قائل " بالنظم " وربما كان القول بالبلاغة أجمع الآراء وأشملها إذ يتناول جميع ذلك ، فإذا فسرنا البلاغة بأنها " مطابقة الكلام لمقتضى الحال " كما هو شائع ومعروف فإننا نجد جميع ما ذكر داخلاً فى هذا المعنى لأن نفوس العرب حينذاك كانت متأثرةً بعوامل قديمة جاهلية استدعت ذلك كله قصص الماضين ، وغيرت المستقبل وعلميات الحياة الراقية .

وهذا الأسلوب الرائع الذى لا يُسَامى قد عاصر العرب وشكائمهم قوية وألسنتهم حِداد ، وجماهيرهم متطلعون إلى مندوحة من الغيب ، أو ظل من الشبهة يلقونها على القرآن عَسَى أن يُبعدوا جانبه من الصلة بالسماء ، وتنزيل الوحى وأنهم لو وجدوا إلى شىء من ذلك سبيلا لما قصروا عنه ، ولأمعنوا فيه ، واتخذوا من قليل ما وجدوا منه احتجاجاً عنيداً وتوهيناً شديداً لسياسة الرسالة الإسلامية على الإطلاق ، ولكنهم بعد أن داروا بأعينهم فيما حولهم من الأشياء ، وبعد أن قلبوا ما أتى به رسول الله ﷺ من القرآن على عقولهم ، ومذاهبهم وراضوه باحتيالهم وألسنتهم ، واجتمع لهم مشايخهم وفهمائهم ، والقادة المخصوصون بالشرف والرياسة من عشائرهم تراسلوا فيما عرض من ذلك لهم ، فقال لهم " الوليد بن المغيرة " وقد اجتمع إليه نفر منهم فى خبر طويل ذكرته كتب السير ، والتاريخ الإسلامى فقالوا له " قل فيه قولاً يبلغ قومك أنك كاره له " قال : وماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى لا برجزه ، ولا بقصيده ولا بأشعار الجن

والله ما يشبه الذى تقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله الذى يقول لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ، ولا يعلى عليه ، وإنه ليحطم ما تحته " قالوا " لا يرضى عنك قومك حتى يقول فيه قال " فدعونى حتى أفكر ، **فلما فكر قال** ، " إن أقرب القول فيه أن تقولوا هو ساحر جاء بقول سحر يفرق بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجه ، وبين المرء وعشيرته فتعرفوا عنه بذلك ، ثم لم يمتد بهم اللِّجاج ، ولم تَطُل المعاندة حتى تبين لهم أنه الحق فآمنوا به وصدقوا بتنزيله ، ووحيه .

ونحن لا نتردد فى أن العرب قد عُرفوا باللَّسن والفصاحة والبلاغة والقول فقد أمسكوا بزمام الفصاحة ، وأخذوا بتلابيب البلاغة فكانوا بحق فرساناً فى البيان ، وعمالقةً فى القول والبلاغة وكانت أمة العرب لا تعرف الفضل لرجالها إلا فى شعر يجيدون حَبْكه ، أو خطب يرموان بطوالها ، وقصارها ولما كان ذلك يناسَب أن تكون حجة " محمد " ﷺ عليهم هى " البيان والبلاغة " لأنها هى التى آمنوا بها فيما بينهم وعرفوا قدرها فى نفوسهم .

**فما لا ريب فيه أن** القرآن الكريم قمة فى الإعجاز البلاغى واللُّغوى وهذا مما لا يختلف فيه إثنان ، ولا ينتطح فيه عنزان وهو مع بلاغته سليم التأليف خَالٍ من الاضطراب وهذا هو الذى شغل علماء البلاغة فظلوا أجيالاً طويلة يميطون اللِّثام عن أسراره ، ويسبرون أغوار بيانه فما انتهوا إلى غاية ، ولا وقفوا إلا على بعض الذى ينطوى عليه هذا العظم العجيب ، وذلك الأسلوب الراقى .

# أثر القرآن فى اللغة والأدب

إن اللُّغة العربية من حيث هى ألفاظ، وعبارات لهجة خاصة ونظام نحوى ممتاز قد تأثرت بالقرآن الكريم تأثيراً مباشراً يظهر فيما يأتى :

أولاً : إيجاد كلمات جديدة للعرب قبل الإسلام والقرآن وهذه الكلمات متصلة بما أتى به القرآن من شعائر جديدة أو مَعانٍ طارئة جرت على لسان الرسول ﷺ – ووردت فى الكتاب العزيز من ذلك كلمة الجاهلية اسم حدث فى الإسلام للزمن الذى كان قبل البعثة، والمنافق اسم إسلامى لم يعرف فى الجاهلية وهو من دَخَل الإسلام بلسانه دون قلبه سمى منافقاً من نافِقاء اليربوع، ومن ذلك قول الرسول – عليه الصلاة والسلام – مات حتف أنفه – ولا ينتطح فيه عنزان .

ثانياً : عكس ذلك أى إماتة ألفاظ كانت موجودة فلما ماتت معانيها ماتت ألفاظها من ذلك " المرباع "، " والنشيطة، والفضول " وهى أسماء لأقسام من غنائم الحروب كانت وقفاً على الرؤساء والسادة، وحل محلها – ما ذكر فى نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ ﴾ [الأنفال:٤١] " إلخ .

ثالثاً : ومن ذلك نقل ألفاظ من معانيها اللغوية إلى معان اصطلاحية شرعية كلفظ " المؤمن، المسلم، والكافر" فالعرب إنما عرفت المؤمن من الأمان، والإيمان هو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سمى المؤمن بالإطلاق مؤمناً، وكذلك الإسلام والمسلم إنما عرفت منه إسلام الشئ ثم جاء فى الشرع من أوصافه ما جاء وكذلك كانت العرب لا تعرف من الكفر إلى الغطاء والستر وكلفظ الصلاة والصيام والزكاة والحج والركوع والسجود فقد كانت لها معان فى الجاهلية غير معانيها فى الإسلام وأما تأثر اللغة بالقرآن تأثراً غير مباشر أى ليس من صميم تكوين حروفها وكلماتها فيمكن ذكره فيما يلى :-

١- نشر اللغة العربية وانتقالها بالقرآن الكريم إلى بيئات أجنبية جديدة فى " مصر والشام والعراق وبلاد فارس والروم " تبعاً للإسلام وانتشار القرآن، إذ كان المسلمون من هذه البلاد يتعلمون القرآن ولغته تكميلاً لإسلامهم ، ومسايرةً للنظام الجديد وكان من ذلك ظهور علماء اللغة والأدباء والفلاسفة الإسلاميين من غير العرب ، وبذلك عرفت العربية بين الصين والأندلس وجنوب السودان .

٢- توحيدها ، فقد كان العرب ذوى لهجات خطابية عدة، تخالف فى الألفاظ والتراكيب واللهجات والإعراب ، ولكن لغة القرآن قضت على تلك اللغات أو اللهجات وحملت العرب جميعاً على اعتناقها وترك ما عداها، وقد حصل ذلك بالتدريج ، ولعله تم رسمياً أو غالبياً زمن " عثمان" لما كتب المصحف بلغة " قريش " وحمل عليها القراء والمسلمين وقد كان الرسول (ﷺ) ييسر على العرب القراءة بلهجاتهم أول الأمر مجاراةً لملكاتهم اللغوية الأصلية المتوارثة ثم انتقلت هذه اللغة القرشية مع القرآن إلى البلاد الإسلامية فكانت اللغة الإسلامية الرسمية .

٣- سلامة الأداء فى لفظ الحروف والكلمات وقواعد النحو والصرف وتكوين الجمل وذلك راجع إلى بقاء القرآن محفوظاً غير مُغَيَّر ، ومنقولاً بالتواتر اللفظى وغير خاضع للتطورات التى ألمت بلغات العامة فحفظ القرآن أسلوب اللغة وتكوين كلماتها وجملها ، ونغمة أدائها سليمةً كما عُرِفَتْ أيام الرسول (ﷺ) وهنا يعترض بعض المستشرقين على هذه المحافظة الشديدة التى حالت بين اللغة وبين التطور، ولكن ذلك مردود إلى وجهين:-

أحدهما ، أن سلامة العبارة لا تغاير التطور مطلقاً ولا سيما ما هى عليه من سعة فى تكوين الجمل والفقرات وقد حدث ذلك فعلاً دون معارضة هذا المثال القرآنى فطوّعت اللغة لكل معانى وموضوعات الحضارة .

وثانيهما ، أن ذلك التطور العام الذى يرمون إليه ويمثل جهود الشعوب المختلفة فى تكوين لغات فرعية عراقية ، ومصرية ، وشامية – وقد حدث فعلاً – لم يعرض فيه القرآن ورجاله بل قد يكون فعلاً آداباً قومية وسمح للغات الإقليمية أن تنمو كما شاءت – ونرجو لا يغضب هؤلاء النقاد – الفصحى سليمة تقيم هذه الألسنة والأقوام فهى ميزة ملائمة للصلات العامة بين بلاد الشرق العربى .

٤- احتمال هذه اللغة مظاهر الحضارة واستيعابها لشئونها وملابساتها فقد كانت فى الجاهلية وقفاً على مقومات الحياة البدوية الساذجة ولكن القرآن ، قوّاها ونشرها وطوّعها لعلوم الفرس واليونان والهند والسريان ، وللعلوم الإسلامية الخالصة وطوّعها للفنون الأدبية التى زخرت بها الآداب العربية على يد الكُتّـاَب والشعراء والفنيين والفلاسفة والمؤرخين ، فَمَثَّلت بذلك دوراً خطيراً فى تاريخ الحضارة الإنسانية .

أما الأدب فهو كما قدمنا قد تاثر بالحياة الجديدة التى أحدثها القرآن وتمثلت فى تحضر الأدب ، وانتقاله من أدب صحراوى ساذج يدور حول الصحراء وحيواناتها ونباتها إلى أدب مثقف متحضر ذى فنون وموضوعات حضرية متصلة بالسياسة والدين والفكر العلمى الإسلامى العميق الذى أخذ ينتشر حتى دخل وادى النيل ودجلة والفرات وبلاد الروم والفرس وقام بأسباب الحياة فيها ، وقضى على آدابها ولغاتها القومية وحل محلها ، ونهض بجميع العلوم الإسلامية والعربية الأصيلة والدخيلة ، وذلك إنما كان بسبب القرآن الكريم الذى قضى على الروح المتعصبة،وألَّفَ بين النفوس والشعوب ، ولم ينكر لأهل الكتاب الذين وجدوا فى جوار المسلمين ومعاونتهم ومسالمتهم ما يحقق معنى الأخوة والإنسانية ، وبتعاليم القرآن والاسلام الذى لم يرفض الحركات الفكرية،والثقافات الأجنبية ؛ الفارسية والرومية والهندية،وجد جيل إسلامي متحضر رقيق المشاعر،غزير المعارف .

# الحديث الشريف

يراد بالحديث الشريف كل ما ورد عن النبي ( ﷺ ) من قول أو فعل أو تقرير، ولما كان أصحابه قد عاشروه وسمعوا قوله وشاهدوا عمله ، وحدثوا بما رأوا وما سمعوا ، ولما كان التابعون قد عاشروا الصحابة وسمعوا منهم ورأو ما فعلوا ، اعتبر الحديث شاملاً لأقوال الرسول وصحابته والتابعين متى جاءت عن طريق المحدثين فإنها تأخذ حكم الأقوال المرفوعة الى رسول الله ( ﷺ ) من جهة الاحتجاج بها .

**تدوينه :**

الذى نستفيده من حقائق التاريخ أن رسول الله ( ﷺ ) اتخذ كتبة للوحي، يكتبون آيات القرآن الكريم عند نزولها ، ولكنه لم يتخذ كتبة يكتبون ما ينطق به من غير القرآن ، بل قد وردت أحاديث تنهى عن تدوين الحديث منها أن رسول الله ( ﷺ ) قال : " لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب عَلَيَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار " .

**الخلاف فى تدوين الحديث : -**

**وروى عن ابن عباس قال :** " لما اشتد بالنبي( ﷺ ) وَجَعَهُ قال : "إئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده " . قال عمر: " إن النبي( ﷺ ) غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا " .

نعم ، وجدت أحاديث تدل على أنه كتبت صحف من الحديث فى عهد رسول الله ( ﷺ ) كالذى رواه البخارى عن أبي هريرة أَنَّ خُزَاعَةَ قَتَلُوا رَجُلاً مِنْ بَنِي لَيْثٍ عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ بِقَتِيلٍ مِنْهُمْ قَتَلُوهُ فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَخَطَبَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْقَتْلَ أَوْ الْفِيلَ قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ كَذَا قَالَ أَبُو نُعَيْمٍ وَاجْعَلُوهُ عَلَى الشَّكِّ الْفِيلَ أَوْ الْقَتْلَ وَغَيْرُهُ يَقُولُ الْفِيلَ وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ أَلا وَإِنَّهَا لَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ بَعْدِي أَلا وَإِنَّهَا حَلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ أَلا وَإِنَّهَا سَاعَتِي هَذِهِ حَرَامٌ لا يُخْتَلَى شَوْكُهَا وَلا يُعْضَدُ شَجَرُهَا وَلَا تُلْتَقَطُ سَاقِطَتُهَا إلا لِمُنْشِدٍ فَمَنْ قُتِلَ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ إِمَّا أَنْ يُعْقَلَ وَإِمَّا أَنْ يُقَادَ أَهْلُ الْقَتِيلِ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ فَقَالَ اكْتُبْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ اكْتُبُوا لأَبِي فُلَانٍ " .

وكذلك ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص من أنه كان يكتب كل ما سمع من رسول الله (ﷺ)،وقد أراد بعض العلماء التوفيق بين هذه الأحاديث المتضارية **فقالوا ،** إن النهى عن الكتابة كان وقت نزول القرآن الكريم خشية التباسه القرآن الكريم بالحديث. فالواقع أن أصل كتابة الحديث وقع فى عهد النبي(ﷺ) أما تدوين الحديث فى كتب فقد وقع بأمر الخليفة " عمر بن عبد العزيز " المتوفى سنة ١٠١ هـ فقد روى فى الصحيح أنه كتب الى أهل الآفاق أن " انظروا ما كان من حديث رسول الله(ﷺ)أو سنته فاجمعوه أو اكتبوه " .

**قيل ،** إنه استخار الله أربعين يوماً ، ثم أمر " ابن شهاب الزهري " أو ابن جريج، أو أبو بكر بن حزم ، بجمع الحديث وتدوينه . فكان ذلك ، وبعث بما جمع الى الأمصار، ثم فُقِدَ هذا المدون ولم يوقف له على أثر.

وأول من دَوَّنَ الحديث " محمد بن مسلم الزهري " المتوفى سنة ١٢٤ هـ و المعروف أنه كان يروى عن الصحابة مثل " عبد الله بن عمر ، وأنس بن مالك ، وسهل بن سعد الساعدي " .

**طبقات المحدثين : -**

وقيل إن أول من دون الحديث " الربيع بن صبيح " المتوفى سنة ١٦٠هـ وسعيد بن أبى عروبة،المتوفى سنة ١٥٦ هـ ، ثم شاع التدوين فى الطبقة التى تلى طبقة " الزهرى" كمالك بن أنس ، وعبد الملك بن جريج ، والاوزاعي ، وسفيان الثوري ، وحماد بن سلمة . وكان بنى كَثير من رواه الحديث فى هذا العهد يكتبون الأحاديث عند تلقيها ولا يكتفون بحفظها عن ظهر قلب ، فإنا نجد فى تاريخ طائفة منهم أن لهم كتباً يرجعون إليها عند الرواية . ونجد فى تاريخ من يروون عن أمثال " الزهري " أن فى مخالفاتهم أجزاءً كثيرة تحتوى أحاديث أخذوها عن أُولئك الأئمة .

**أصحاب المسندات : -**

ويصل بنا البحث الى أن مصنفات الطبقة التى جاءت بعد طبقة " مالك وابن جريج " . قد بلغت الغاية فى جمع الأحاديث . وفى ذلك العهد صنفت مسندات كثيرة " كمسند أسد بن موسى الأموى " المتوفى سنة ٢١٢ هـ ، ومسند "عبيد الله بن موسى العيسى

" المتوفى سنة ٢١٣ هـ . ومسند نعيم ابن حماد الخزاعى " المتوفى سنة ٢٢٨ هـ ، ومسند "أحمد بن حنبل " المتوفى سنة ٢٤١ هـ ،

وجاء بعد هؤلاء أصحاب الكتب الستة وأولهم " البخارى " ،وآخرهم " النسائي" وما فى الكتب الستة أو معظم ما كان مدوناً فى الكتب المصنفة من قبل .

وهذه النظرة التاريخية تدلنا على أن أصل كتابة الحديث وقع فى عهد النبي (ﷺ) ثم لم يمض قرنان حتى قيد معظم الحديث بالكتابة والتدوين .

**أنواعه الأدبية : -**

لقد عرف رسول الله (ﷺ) بأنه صاحب دعوة ، ومنشئ دولة،ومؤلف جماعة،فتكاثرت الوفود على بابه وتزاحمت عليه القبائل والجماعات مستسلمةً لدعوته،مؤمنةً بشريعته،مأخوذة بحديثه الجامع وبيانه الأحر، وبلاغته المتدفقة ، وفصاحته المتمكنة .

**فنونه :**

عرض عليهم ألواناً وفنوناً من تشريعه المبين،وحكمه البالغة،وأمثاله السائرة، وَقَصَصِهِ الحق، وقوانينه العادلة، ونصائحه الشاملة، بأسلوب يسيل نوراً وروعةً،ويفيض رقةً، وقداسةً .

**الأمثال : -**

**فمن أمثاله السائرة ،** " إن من البيان لسحراً "،" وإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى"،"إياكم وخضراء الدمن"،"إن مما ينبت الربيع ما يقتل حَبْطاً أو يلم".

**الحكم : -**

ومن نصائحه (ﷺ) فى ثوب الحكمة والكلمة الجامعة " رُبَّ مُبَلَّغ أوعى من سامع "،" التمسوا الرزق فى خبايا الأرض " . " المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم "، " المرء مع من أحب ، ولا خير فى صحبة من لا يرى لك ما ترى له "،" اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن ". " الرغبة فى الدنيا تكثر الهم والحزن " ، "البطالة تقسى القلب" "اليد العليا خير من اليد السفلى" . "زرغباً تزدد حبا" .

"الوحدة خير من جليس السوء"،"من أصبح معافى فى بدنه، آمنا فى سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها"، "لو تكاشفتم ما تدافنتم " .

وكُتُب الحديث مستفيضة بالأمثلة الكثيرة والشواهد التى لا تُحْصى على بقية الأنواع كالتشريع والقوانين والقصص كما تفيض بالتراكيب المبتكرة التى لم تعهد لأحد قبله ،ولم تؤثر عن بليغ سابق مثل " الآن حمى الوطيس "،" هدنة على دخن"،"هذا يوم له ما بعده"،"يا خيل الله اركبي"،"لا ينتطح فيه عنزان"،"رفقا بالقوارير " .

**بلاغته : -**

أحاديث الرسول (ﷺ) وإن كانت فيض الخاطر، وعفو البديهة،يبدو عليها أثر الإلهام ووسمة العبقرية وطابع البلاغة ، وأسلوبها أقرب الى أسلوب عصر النبوة منه الى أسلوب القرآن ، وإنما يمتاز كلام الرسول(ﷺ) باشراق ديباجته ، واتساق عبارته ، وتساوق ألفاظه وتراكيبه ، ومطتبقة مدلوله لمقتضى الحال ، وأشد ما يكون ذلك ظهوراً حين يخاطب الوفود ، فالرسول (ﷺ) يستعمل الغريب ويلتزم السجع ويخاطب كل وفد بلُغَتِهِ .

**معرفة الرسول (ﷺ) بلغة القبائل : -**

والنبي (ﷺ) لم يُعْلم عنه أنه انتقل فى تلك القبائل قبل البعثة حتى يحذق لغاتها ، ومثل ذلك لا يكون إلا بالهام وعليم من الله ، ولقد قال له " عَلِىّ " – رضى الله عنه – حين سمعه يخاطب وفد "بني فهد" : "يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهمه ، فقال رسول الله (ﷺ) : " أدبني ربي فأحسن تأديبي ، بيد أني من قريش وربيت فى بني سعد" تلك ينابيع ثقافته (ﷺ) **ومن ذلك كتابه " لوائل بن حجر الكندى " أحد قبائل " حضر موت "** . -

" إلى الأقيال العباهلة ، والأرواع المشابيب ....... "

**ومن** : " وفى التبعة شاة لا معورة الألياط ، لا خناك وأنطوا الثيجة ، وفى السيوب الخمس ، ومن زنى من بكر فاصقوه مائة " و اسوفضوه عاما ، ومن زنى من ثيب فاضربوه بالأضاميم ولا توصيم فى الدين ولا غمة فى فرائض الله تعالى ، وكل مسكر حرام ، ووائل بن حجر الكندى يترقل على الاقيال " .

وللرسول قدرة عجيبة على التشبية والتمثيل وارسال الحكمة وإجادة الحوار وتلك ميزة أختصه الله بها فهو أفصح العرب منطقاً وأبلغهم قولاً ، حتى لقد قال له " أبو بكر – رضى الله عنه – لقد طُفْتَ فى العرب ، وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك فمن أدبك علمك ؟ .

**قال رسول الله (ﷺ) .** " أدبني ربي فأحسن تأديبي " .

## أثر الحديث فى اللغة والأدب : –

إن للحديث قيمة كبرى من جهة الثقافة والدين على منزلة القرآن الكريم ، فإن كثيراً من آيات القرآن مجمل ، او مطلق أو عام ، فيأتي الحديث مبيناً له ، أو مقيداً، أو مخصصاً من كل ما يتعلق بأدب ، أو عبادة ، أو معاملة .

## الحديث لا يسمو الى منزلة القرآن الكريم : –

إن قيمة الحديث وإن كانت تتسم بطابع البيان والإلهام ، والعبقرية فإنها لا تسمو الى مكانة القرآن الكريم لأن القرآن كان يدون عند نزوله ، وفرض على المسلمين ان يحفظوا بنصه .

﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة:١٨١]،

وذلك بخلاف الحديث فلم يتم تدوينه إلا بعد قرنين من الزمان وكان قبل ذلك إنما يروى معظمه من الذاكرة ، وكثيراً ما تخون ويعتريها النسيان ، و الضياع ، لذلك نال الحديث كثير من تفسير الكلمات والتراكيب . واختلاف الروايات ، وزاد في ذلك أن أجاز بعض العلماء رواية الحديث بالمعنى وذلك لاستحالة المحافظة على اللفظ فى نقله مشافهة طوال هذه السنين . وليس من هَمِ الأديب أن يُعْنى بما نال الحديث من الاختلاف والتبديل، ولابما نال المحدثين من الجرح والتعديل ، فإن الأدب انما بعد الأحاديث ، صادقها وكاذبها مذهباً من مذاهب القول له التأثير البالغ ، والأخذ الشديد .

## أثر الحديث فى اللغة والأدب : –

إن جُلَّ الأحاديث يبدو عليها نور النبوة ، وروعو الحق ، ورواء الطبع ، ورواق الفصاحة ، فلا غرو أن يكون لها بعد القرآن التأثير البين فى جميع الوجوة التى ذكرناها للقرآن الكريم فقد عمل الحديث كما عمل القرآن على تمدن اللغة وتحضرها وجعلها صالحةً

لكل ما جد من علوم وثقافات ، وحضارات ومعارف ، وكما كان للقرآن فضل عظيم فى ايجاد كلمات جديدة لم تكن معروفة للعرب قبل الإسلام كذلك الحديث قد وضع ألفاظ جديدة لما ستحدث من المعاني الدينية ، والفقهية ، وزاد فى اللغة ألفاظاً وأجرى فيها اشتقاقات ، كما توسع فى معانى بعض ألفاظها بما لم يعهد قبله ، فكان للغة مادة جديدة زادت فى ثروتها اللغوية .

من ذلك تسميته " صفر الأول "،" محرما " وذلك حين أبطل الإسلام النسيء وحتم تحريم القتال وكذلك وصفه ( ﷺ ) لفرس ركبه بأنه " بحر " يعنى لا ينقطع جريه ، واسراعه، وكذلك كلمة " الصير "[١] **بمعنى الشق فى قوله :**

" من أطلع من صير باب فقد دَمِرَ " يعنى دخل . يقول " أبو عبيد " لم يسمع هذا اللفظة إلا فى هذا الحديث. وكذلك وصفه "للزانية "بالزمارة" فى حديث أبى هريرة ﷺ أن النبي(ﷺ) نهى عن كسب الزمارة". يقول " تعلب " الزمارة هى الزانية ، وَسُمْيت بهذا الاسم لشيوع أمرها كأنها تنفخ فى بوق ، وهذه اللفظة لم تُسمع إلا فى هذا الحديث .

هذا إلى جانب ألفاظ كثيرة جرت على لسانه – عليه الصلاة والسلام – فى بيان الشريعة وفقهها . كما نجد النبى (ﷺ) قدرة عجيبة على التشبيه ، والتمثيل ، وذلك فى مثل قوله (ﷺ) : " المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف إن قيد انقاد و ان أنيخ استناخ على صخرة " ، **وقوله ( ﷺ ) :**

" أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم " .

**وقوله ( ﷺ ) :** "لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا تُـرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصاً وَتَرُوحُ بِطَانـاً " ، **وقوله ( ﷺ ) :** " مثل المؤمن كالنخلة لا يأكل إلا طيبا و لا يطعم الا طيبا " ، **وقوله ( ﷺ ) :** " المرأة كالضلع إن رمت قوامها كسرتها " ،

**ومن قوله ( ﷺ ) :** " الناس سواسية كأسنان المشط " .

**أثر الحديث : –**

إن أثر الحديث كثير ومبثوث فى كلام الصحابة – رضى الله عنهم – ،وفى خطبهم خاصة فى أسلوب من كثراختلاطهم به ،وملازمتهم له ، أو كثرت رواياتهم عنه مثل سيدنا

( ١ ) الصير : الشق ، وافتحة ، وصير الباب خرمه ، وثقبه والفتحة فيه .

" أبى بكر " ﷺ ،وعمر بن الخطاب،وعثمان،و على وأبى هريرة، وعائشة ، وعبد الله بن عباس،رضى الله عنهم أجمعين .

هذا وللحديث مثل ما للقرآن فضل كبير،ولغتنا القمراء ،وضادنا الدعجاء وذلك يتجلى فى حفظها هذا العمر المديد،والمساحة الزمنية الواسعة الذى لا ينتظر أن يزولا لأنهما أي القرآن والحديث منبع الدين وموطن التشريع ، وموضع الاستشهاد ، ومحل الاقتباس ذلك بالاضافة الى عناية المسلمين الفائقة بالعلوم الشرعية والعربية . تلك العناية التى هدفها وغايتها الحفاظ على " القرآن والحديث " حتى يبقيا للأجيال المتعاقبة من المسلمين سالمي البناء،معروفين،وغير مجهولين . وهذا من تدبير المولى – سبحانه وتعالى – لحفظ دينه،وبقاء كتابة ما بقى من الحدثان .

# الشعر فى عصر البعثة الاسلامية

## ظهور الإسلام أثار الجدل : -

إن ظهور الإسلام كان نهضة جديدة تناول نواحى الحياة العربية كلها ، الدينية والاجتماعية و السياسية والأدبية. ثم تناولت الحياة البشرية كلها بعد ذلك. ذلك لأن الإسلام رسالة بشرية عامة ، وهذه النهضة اقتضت معارضة من ناحية ، ومؤازرته من ناحية أخرى، يعنى كان لها خصوم وأنصار. وقد كان الخصوم أول الأمر كثرة كاثرة وعنيفة وقوية ، وذلك الأمر يستتبع نهضة أدبية تلازم هذه الدعوة ويظهر فيها الجدل والخطابة والشعر،وقد كان ذلك كله طبيعياً وواقعياً لا شك فيه، لذلك كان على مؤرخي الاداب أن يقفوا عند هذه الفترة الانتقالية لبيان وجه الحق فيها ولاسيما ما شاع من أن القرآن حرم الشعر وصرف الناس عنه .

**يقول "ابن خلدون"** فى الفصل الستين من آخر مقدمته عن الشعر **وقوله ما نصه،** " أن انصرف العرب عن ذلك أول الإسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحى ، و ما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض فى النظم والنثر زماناً ثم استقر ذلك وأونس الرشد من الملة ولم ينزل الوحى فى تحريم الشعر وحظره ، وسمعه النبي(ﷺ) وأثاب عليه ، فرجعوا حينئذ الى دينهم الأول " .

**يستفاد من كلام " ابن خلدون " ثلاثة أمور : -**

١- أن العرب انصرفوا عن الشعر عند مبعث الرسول (ﷺ) لانشغالهم بأمر الدين والنبوة ، ومار اعهم من بلاغة القرآن ، فشغلوا عن الإنتاج الأدبي شعراً ونثراً .
٢- إن الدين لم يحظر الشعر ولم يحرمه .
٣- إن الرسول (ﷺ) كان يشجع الشعر ويثيب عليه .

على أن المشهور أن الدين حرم الشعر **لقوله تعالى** : " والشعراء يتبعهم الغاوون " . **وقوله سبحانه** : " وما علمناه الشعر وما ينبغى له " . و فإذا صح " لابن خلدون " آخر كلامه فليس من الحق المطلق أن نوافقه على كلامه ، واذا فما الرأى؟

يلاحظ ما قلناه عن هذه النهضة الجديدة وما تستلزمه من نهضة أدبية والواقع أن مدة " مكة " كانت جدلاً نثرياً بين الرسول (ﷺ) وقومه من " قريش " ثم كانت الخطابة تصدر عن الرسول (ﷺ) فى الغالب أحيانا ، وأما الشعر فلم يكن " لقريش " منه حَظ ذو خطر لذلك بقى كما هو فى " مكة " قبل الهجرة وإذ لا يقال عن فتور الشعر هذا أن سببه الدين ، بل المسألة ليست إلا نوعاً من مسايرة الحالة القديمة " لقريش " فلما كانت الهجرة ووقفت المدينة أمام مكة أو الانصار أمام "قريش " ثار الشعر ونهض نهضةً قويةً ونشأ من ذلك مرستا " مكة والمدينة " كما هو معروف مشهور وظهرت شاعرية " قريش " أمام شاعرية الانصار ، ولم يكن لا عليها ولا لها ليس ذلك معقولاً أبداً .

والواقع أن الدرس التاريخي يدلنا على أشياء عجيبة منها إظهار الشاعرية القرشية كما يلى واظهار شعراء لم يعرفوا من قبل ومنها أن الشعر يتخذ الدين موضوعا له يُنيب عنه ، بل شعرا يقال حتى فى الردة نفسها وفى أيام الغزوات والفتوح الأولى حتى العصر الأموى ذلك " حسان بن ثابت " ثم " كعب بن مالك " ، و" عبد الله بن رواحة " أقاموا أنفسهم شعراء الرسول " مدرسة المدينة " يدفعون عنه قريشاً ويقفون لشعراء مكة ويفحمونهم .

وأولئك " عبد الله بن الزبعرى"، "ضرار بن الخطاب" ، "عباس بن مرداس"، و " عمرو بن العاص " ، وأبو سفان مدرسة مكة ، وغيرهم يقفون فى وجه الدين ورسوله وشعرائه بعد الهجرة ، تجد شواهد ذلك فى سيرة ابن هشام ، وفى الشعر الذى قيل حول الغزوات " كبدر وأحد " ، و الخندق و سواها .

فالقول بأن العرب انصرفوا عن الشعر وشغلوا بالاحداث والقرآن قول لا يسلم كما رأيت ، بل المفروض أن تلك الأحداث تستلزم الشعر وتشجع عليه ، وإن

كنا نرى شاعراً انصرف عن الشعر الى القرآن ، فذلك " لبيد " كما يروى أحيانا وهو استثناء يثبت القاعدة ، " ولبيد " على كل حال لم يهتم بالشعر بعد الإسلام ، حتى صفوا له بيتاً واحداً فى الإسلام إن صحت الروايات . هذا هو الوجه الذى يؤيده الواقع .

**الاحتجاج بالآية وموقفنا منه : -**

إن الدين لم يحظر الشعر حظراً مطلقاً كما يتوهم الناس ، **والذين يحتجون بالآية** ، ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾ [الشعراء:٢٢٤]

فاتهم أن القرآن انتصر لجماعة من الشعراء .....إلخ آخرها ، مما يدل على أن الدين لم يحرم بتاتا الشعر ولعله حرم منه ما أتى بالشعر وصرف عن الإسلام .

كذلك الذين يحتجون بالآية الثانية ، لم يراعوا أنها نزلت تَنْفى الشعر عن القرآن وعن الرسول (ﷺ) إنه شاعر وإن القرآن شعر ، فنزلت الآية تَنْفى الشعر عن القرآن لأنه حقاً ليس بشعر ، وعن الرسول لأنه ذو مبدأ جدي أُرْسِل لإبلاغه،على أن مسلك الرسول (ﷺ) وخلفائه من الشعر كان يستمع الى الشعر **ويقول لحسان** :

" ما منع الذين نصروا الرسول بأسنتهم أن يمنعوا بألسنتهم " . يريد الأنصار وحسان بن ثابت . فكان " حسان وكعب وابن رواحه " صدى هذه الكلمة ،وأكثر شعر حسان الاسلامي كان فى مدح الرسول (ﷺ) ورثائه والدعوة له والذود عنه ، فكان شاعر الرسول حقا ، ويمكن قراءة ذلك فى مقدمة دلائل الإعجاز.

**لم يكن لقريش شعر فى الجاهلية : -**

إن الإسلام كما أشرنا قبلاً أظهر الشاعرية القرشية وَقَوّاها فمن المعروف كما يقول " ابن سلام " أن قريشاً لم يكن لها فى الجاهلية حظ من الشعر وقد يرجع ذلك الى حياتها المطمئنة البعيدة عن الأحداث التى تثير العواطف أو إلى انشغالها بالتجارة والرياسة فانصرفت عن هذا الفن الجميل الذى انحطت قيمته أحياناً ، أو إلى انعدام قيمتها الشعرية فبقيت ملكتها خامدة حتى بعثها الإسلام .

**ويلاحظ أن** هذه القوة قد بدت بعد الهجرة حين وقف الأنصار فى "بدر" وأخذوا يفخرون بالنبي (ﷺ) ويدافعون عنه على لسان " حسان،وكعب،وابن رواحه. فقام من قريش جماعة يردون على شعراء الانصار أخصهم " أبو سفيان ، وعمر بن العاص،وعبد الله بن الزبعري،وضرار بن الخطاب " وهذا الشعر نفسه كان جاهلياً فى الغالب هو فخر وحماسة وهجاء على مثال الشعر الجاهلى ، فمعانيه بأس وكرم ونجدةً على أنه كان قليلاً هَيّناً ولعل أول شاعر قرشي وقف يزاحم الشعراء بمنكب ضخم هو" عمر بن أبي ربيعة " .

**مدرستى مكة والمدينة وطابع شعرهما : -**

**وهنا نسجل ظاهرتين :**

**الأولى ،** هذه الشاعرية القرشية التى مثلت مدرسة "مكة " مقابلة لمدرسة " المدينة " التى مثلها الأنصار.

**الثانية ،** أن هذا الشعر الذى صاحب النهضة الإسلامية أول ظهوره لم يكن شعراً دينياً بالمعنى الصحيح وإنما هو شعر عربي يسجل العواطف التى كان الجاهليون يسجلونها ، ومع ذلك ففيه شيء جديد هو أن مصدر هذه الخصومة التى وقعت بين قريس والنبي (ﷺ) ليست هى الأشياء التى كانت مصدر الخصومات الجاهلية ، هى خصومة أساسها الدين لا العصبية ولا المراعى والمياه ولا الرياسة القبلية فمن الطبيعي أن يعتز المسلمون بدينهم وأن ينكر القرشيون عليهم ذلك ، وأن يقوم الشعر بتقييد ذلك .

**كذلك نجد فى هذا الشعر** ملاحظة طريفة هى أن هؤلاء الشعراء من أنصار النبي (ﷺ) الذين أشرنا إليهم كانوا معروفين بالشعر قبل الإسلام ولاسيما "حسان" هؤلاء الشعراء كانوا يهجون " قريشا "ويرددون عليهم صيحاتهم الشعرية .وكانوا يذهبون مذهبين متقابلين . كان " حسان بن ثابت " وكعب بن مالك " فى الغالب يهجوانهم على النحو الجاهلي ، فَيُدْمِيهم " حسان " فى أحسابهم وأنسابهم ،

ونجدتهم ، وكان هجاؤه لذلك أشد عليهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا هان شعره عليهم ، إذ كان صورةً جليةً برئوا منها بالإسلام فلا عليهم حين ذكر بعد فوات وقتها ، وكان " عبد الله بن رواحه " يعيرهم بترك الدين والهدى بالخروج على الإسلام فلم يبالوه أولاً ما داموا جاهليين كافرين حتى إذا أسلموا خافوا شعره لأنه عار عليهم يرميهم بالتقصير فى عقيدتهم الرسمية الأخرى وكلا النوعين كان أقرب فى أسلوبه الى النسق الجاهلي لم يحظ بنضج فني جديد .

**كذلك يلاحظ أن** شعر " قريش " لم يكن فى الكثرة كما يروى أو يتوهم فيقول " ابن سلام " : " إنهم تكثروا من الشعر وأضافوه الى شعرائهم " .

**كما يقول،** " إنه شعر لَيِّن يمكن تقليده ، ويصعب تمييزه "،لذلك تجد " ابن هشام " بعد رواية قصائد مطولة تُنْسب إليه يقول : " أكثر علماء الشعر ينكر هذه النسبة " .

إن الإسلام بحكم طبيعته ونهضته كما نهض بالشعر واستدعاه موضوعاً فإنه أضعف شعر بعض الشعراء شكلاً ، وحسان بن ثابت . نفسه دليل ذلك ، ومن المشهور بين المؤرخين أن " حسان " فى الجاهلية أشعر منه فى الإسلام :

**قال الأصمعى ،** " الشعر نكد يقوى فى الشر ويسهل ، فاذا دخل فى الخير ضعف ولأن ، هذا " حسان " فَحْل من فحول الجاهلية ، فلما جاء الإسلام سقطوا شعره " .

**لماذا ضعف شعر " حسان " فى الإسلام : -**

قيل " لحسان " لأن شعرك إذ هَرِمَ فى الإسلام يا أبا الحسام ، **فقال للقائل،**

" يا ابن أخى ، إن الإسلام يحجر عن الكذب ، أو يمنع من الكذب ، والحق إن غالب شعر حسان كان فى الإسلام دون مستواه الجاهلي ولعل أسباب ذلك :

إضطراره إلى الارتجال كثيراً ليرد على خصوم الرسول (ﷺ) المهاجمين .

١- كبر سنه ، وضعف مواهبه الفنية ، لأن الحيوية المادية ذات أثر قوى فى قوة الشعر وروعته .

٢- وقوف الدين بالفن عند حد الفضيلة والدعوة إليها ، حتى لقد يستحيل الشعر وعظاً وإرشاداً ، وذلك يبعد بالشعر عن طبيعته العاطفية الحرة .

٣- ثم ، وهذا أهم شيء أن " حسان " كان بين طبيعتين : جاهلية قديمة ناضجة ، وأخرى إسلامية حديثة ، والشعر ليس شيئاً يلقى فى النفس القاءً ، وانما ينبع منها بقوة الطبع ، وحصول الثقافة الخاصة .

فكان " حسان " يغالب نفسه ، ويحملها على محمل نفس فنى جديد ومعان ، وموضوعات جديدة ، وأسلوب قديم لم يتغير ، فكان يسقط بين كرسيين أي بين الاتجاهين .

ومثله فى ذلك الشاعر " النابغة الجعدى " وإن كان مغلباً فى الهجاء ، وإنما ما لهذه النقطة فلاحظ أن الشاعر " لبيد بن ربيعة " قد ترك الشعر ، وانصرف عن العناية به فى الإسلام ، فهذا مثل فى تأثير القرآن فى الشعر تأثيراً عكسياً مع أنه جزئي .

٤- إن جماعة من شعراء الأعراب أسلموا مسايرة للناس ، طوعاً أو كرهاً مثل " الخطيئة " الذى أسلم لأن من حوله أسلموا ، وربما كان ضعيف العقيدة

**فارتد بعد وفاة الرسول (ﷺ) وإليه ينسب هذا الشعر ،**

| | |
|---|---|
| أطعنـا رسـول الله مـا كـان بيننـا | فيالَ عبادِ الله مـا لأبـي بكـر |
| أيورثنـا بكـراً إذا مـات بعـده | وتلك لعَمْرُ الله قاصمـةُ الظهـر |
| فهـلاّ رددتـم وفـدنا بزمانـه | وهلا خشيتم حَسّ راعيـة البَكـر |

وكان " الحطيئة " يعشق الحياة الجاهلية ويحبها حباً جماً ، لما فيها من حرية غير خاضعة لسلطان سياسي،ولا لتقاليد دينية ، وكان يحب ما فى الجاهلية من صلات،وهبات،وشراب رافعاً عقيرته بالشعر،مادحاً أو هاجياً أو متغتذلاً .

هذا الشاعر قد بقي شعره جاهلياً كما هو دون أن يتأثر بالإسلام فى جملته ولم يتورط فيما تورط فيه غيره من الشعراء من الناحية الفنية حتى عد "الحُطَيئة " زعيم المخضرمين ، وقائدهم لدى بعض النقاد .

فالواقع أن " الحُطَيئة " كان مخلصاً لفنه أكثر من إخلاصه لدينه ، لذلك بقي شعره مستوياً لا تفاوت فيه ، شأنه في ذلك شان الشاعر " القطامي " من الاسلاميين،و الشاعر " طرفة بن العبد البكري "،و " زهير بن أبى سلمى المزنى " من الجاهليين .

**والنتيجة الطبيعية كما سبق أن** مدة الجيل الأول لظهور الإسلام كانت من الناحية الأدبية امتداداً للعصر الجاهلي ، وبخاصة فى الشعر . ونحن حين نقف لديها ، لا نقف عند عصر جديد واضح المعالم والأركان ، لذلك اختلف مؤرخوا الأدب أين يضعون هذه الحقبة من تاريخه : أهى إمتداد للعصر الجاهلى وتكملةٌ له أم هى فترةٌ اسلامية جديدة أم هى حقبة بين الإثنين وهى عصر المخضرمين ؟

**رأي ابن سلام الجمحى فى الحقبة الإسلامية : -**

إن ابن سلام الجمحي ، فى كتابه " طبقات الشعراء " فقد أضاف هذه الحقبة من الزمن الى العصر الجاهلي،وأدخل شعراءها من طبقاته خاضعاً فى ذلك لنشأتهم الأصلية ، ومذاهبهم الفنية،وعد الاسلاميين الذين نشأوا فى الإسلام وتأدبوا بآدابه ، أو تثقفوا بثقافاته،وأدبه الكريم من القرآن الكريم والسنة وأتصلوا بأحداثه التاريخية والسياسية،فبدأهم بالشعراء " جرير والفرزدق ، والأخطل " من الذين تعدهم الآن من شعراء العصر الأموي .

**رأي ابن رشيق القيرواني :**

أما ابن رشيق القيرواني فى كتابه " العمدة فى محاسن الشعر ونقده " فقد عد هؤلاء الشعراء طبقة خاصة سماها " طبقة المخضرمين " والمخضرم هو الذى عاش شطراً من حياته فى الجاهلية ، وشطراً آخر فى الإسلام .

ثم توسع فى معنى الكلمة فأصبحت تطلق على كل من حضر عهدين متباينين ومختلفين **حيث يقول** : " طبقات القراء أربع " .

" جاهلي قديم،و مخضرم،واسلامي،ومحدث " ثم صار المُحَدْثون طبقت "طبقة أولى ، وطبقة ثانية " على التدريج ، و هكذا فى الهبوط الى وقتنا هذا ، وهو

تقسيم تغلب عليه الناحية الزمنية ، وإن لم يخل مطلقاً من ملاحظات فنية تلائم هذه العصور التاريخية وكون أن هذه الحقبة الزمنية من حقب التاريخ الأدبي " عصراً إسلامياً " خالصا من الناحية الأدبية فإنه غير ميسور الا أن يلاحظ فى ذلك النواحى الأخرى " السياسية ، أو أن تُعَد هذه مقدمة للعصر الاسلامى الذى تبدأ مظاهره فى منتصف القرن الأول الهجرى يعنى بدأت مظاهره الحقة مع ظهور الدولة الأموية ، والآن فإن العصر الاسلامي يبدأ بعد مضى جيل مُنْذُ البعثة ، أو بظهور الجيل الجديد الذى تربي فى ظل الإسلام وتأدب بآدابه وعلى هذا فمن الممكن تقسيم الشعراء الذين ظهر الإسلام **وهم شعراء إلى ثلاث طوائف : -**

طائفتان متلاحقتان،ومتدافعتان،وهما طائفة الأنصار المدافعة عن الرسول(ﷺ) والمناصرة لدينه،و طائفة المكيين : الهاجيةً لرسول الله (ﷺ) والمهجية لدعوته وكان من آثارهما كثرة الشعر فى مكة والمدينة .

**أما الطائفة الثالثة** : فهى التى بقيت تقول الشعر فى إسلامها كما كانت تقوله فى جاهليتها ومن هؤلاء الشعراء " أبو دعبل الجمحى،وكعب بن زهير والنابغة الجعدي، ومعن بن أوس، وابن مقروم الضبي،وعبدة بن الطيب و عمرو بن معد بن كرب، و متمم بن نويره، و العباس بن مرداس،و الحطيئة "و غيرهم كثير مما يطلق عليهم الشعراء " المخضرمون " يعنى الذين أدركوا الجاهلية والاسلام وذلك من قولهم " ماء خضر " وذلك إذا تناهى فى السعة الى الكثرة ، لتناولهم العصرين . وأصل الخضرمة هم قوم وفدوا على رسول الله (ﷺ) وقد قاموا بتقطيع آذان إبلهم فلما وصلوا الى مجلس رسول الله (ﷺ) قال هؤلاء المخضرمون، يعنى أن قطع آذان إبلهم يحمل معنى سامياً عظيماً ، وهو أن هؤلاء قطعوا كل صلة لهم بالكفر والجاهلية واعتنقوا الإسلام ديناً فآمنوا بالله،وصدقوا برسول الله(ﷺ)،وهذه هى الفئة الثالثة : وهى لم تبتعد كثيراً فى شعرها الإسلامي عن المنحى والطريق الذى كانت تنتهجه وتنحوه فى شعرها الجاهلي بخلاف الفئتين السابقتين حيث إن البَوْنَ شاسع والفارق بعيد بين شعريهما " فى الجاهلية والاسلام " وذلك لتباين

الغرض اختلافه فى العَهدينَ ، ولاختلاف المعاني أيضا التى كان يقتضيها هذا التباين ، وإليك بعض الأمثلة لتوضيح ما ذكرناه آنفاً .

**يقول الشاعر " ضرار بن الخطاب " فى " واقعة بدر الكبرى " : -**

عَجِبْت لِفَخْرِ الأَوْسِ وَالْحَيْنُ دَائِرٌ ... عَلَيْهِمْ غَداً وَالدَّهْرُ فِيهِ بَصَائِرُ

وَفَخْرِ بَنِي النَّجَّارِ وَإِنْ كَانَ مَعْشَرٌ ... أُصِيبُوا بِبَدْرٍ كُلُّهمْ ثَمَّ صَابِرُ

فَإِنْ تَكُ قَتْلَى غُودِرَتْ مِنْ رِجَالِنَا ... فَإِنَّا رِجَالٌ بَعْدَهُمْ سَنُغَادِرُ

وَتَرْدِي بِنَا الْجُرْدُ الْعَنَاجِيجُ وَسْطَكُمْ ... بَنِي الأَوْسِ حَتَّى يَشْفَى النَّفْسَ ثَائِرُ

وَوَسْطَ بَنِي النَّجَّارِ سَوْفَ نَكُرّهَا ... لَهَا بِالْقَنَا وَالدَّارِعِينَ زَوَافِرُ

فَنَتْرُكُ صَرْعَى تَعْصِبُ الطَّيْرُ حَوْلَهُمْ ... وَلَيْسَ لَهُمْ إلا الأَمَانِيّ نَاصِرُ

وَتَبْكِيهِمْ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ نِسْوَةٌ ... لَهُنّ بِهَا لَيْلٌ عَلَى النَّوْمِ سَاهِرُ

وَذَلِكَ أَنَّا لا تَزَالُ سُيُوفُنَا ... بِهِنّ دَمٌ مِمَّنْ يُحَارِبْنَ مَائِرُ

فَإِنْ تَظْفَرُوا فِي يَوْمِ بَدْرٍ فَإِنّمَا ... بِأَحْمَدَ أَمْسَى جَدّكُمْ وَهُوَ ظَاهِرُ

وَبِالنَّفَرِ الْأَخْيَارِ هُمْ أَوْلِيَاؤُهُ ... يُحَامُونَ فِي اللأْوَاءِ وَالْمَوْتُ حَاضِرُ

يُعَدّ أَبُو بَكْرٍ وَحَمْزَةُ فِيهِمُ ... وَيُدْعَى عَلِيّ وَسْطَ مَنْ أَنْتَ ذَاكِرُ

وَيُدْعَى أَبُو حَفْصٍ وَعُثْمَانُ مِنْهُمْ ... وَسَعْدٌ إِذَا مَا كَانَ فِي الْحَرْبِ حَاضِرُ

أُولَئِكَ لَا مَنْ نَتّجَتْ فِي دِيَارِهَا ... بَنُو الْأَوْسِ وَالنّجّارِ حِينَ تُفَاخِرُ

وَلَكِنْ أَبُوهُمْ مِنْ لُؤَيّ بْنِ غَالِبٍ ... إِذَا عُدّتْ الْأَنْسَابُ كَعْبٌ وَعَامِرُ

هُمْ الطّاعِنُونَ الْخَيْلَ فِي كُلّ مَعْرَكٍ ... غَدَاةَ الْهِيَاجِ الْأَطْيَبُونَ الْأَكَاثِرُ

**فَأَجَابَهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ، أَخُو بَنِي سَلِمَةَ فَقَالَ :**

عَجِبْت لِأَمْرِ اللّهِ وَاللّهُ قَادِرٌ ... عَلَى مَا أَرَادَ لَيْسَ لِلّهِ قَاهِرُ

قَضَى يَوْمَ بَدْرٍ أَنْ نُلَاقِيَ مَعْشَرًا ... بَغَوْا وَسَبِيلُ الْبَغْيِ بِالنّاسِ جَائِرُ

وَقَدْ حَشَدُوا وَاسْتَنْفَرُوا مَنْ يَلِيهِمْ ... مِنْ النّاسِ حَتّى جَمْعُهُمْ مُتَكَاثِرُ

وَسَارَتْ إِلَيْنَا لا نُحَاوِلُ غَيْرَنَا ... بِأَجْمَعِهَا كَعْبٌ جَمِيعاً وَعَامِرُ

وَفِينَا رَسُولُ اللّهِ وَالأَوْسُ حَوْلَهُ ... لَهُ مَعْقِلٌ مِنْهُمْ عَزِيزٌ وَنَاصِرُ

وَجَمْــعُ بَنِــي النّجّــارِ تَحْـتَ لِوَائِــهِ ... يُمْشّونَ فِي الْمَــاذِيِ وَالنَّقْــعُ ثَــائِرُ
فَلَمّــا لَقِينَــاهُمْ وَكُــــلّ مُجَاهِــدٌ ... لأَصْحَابِهِ مُسْتَبْسِلُ الـنَّفْسِ صَــابِرُ
شَــهِدْنَا بِــأَنّ اللّــهَ لا رَبّ غَيْــرَهُ ... وَأَنّ رَسُولَ اللّــهِ بِــالْحَقّ ظَــاهِرُ
وَقَدْ عُرّيَــتْ بِــيضٌ خِفَــافٌ كَأَنّهَــا ... مَقَابِيسُ يُزْهِيهَــا لِعَيْنَيْــك شَــاهِرُ
بِهِــنّ أَبَــدْنَا جَمْعَهُــمْ فَتَبَــــدّدُوا ... وَكَانَ يُلَاقِي الْحَيْنَ مَنْ هُــوَ فَــاجِرُ
فَكُــبّ أَبُوْ جَهْــلٍ صَــرِيعاً لِوَجْهِــهِ ... وَعُتْبَةُ قَــدْ غَادَرْنَــهُ وَهُــوَ عَــاثِرُ
وَشَيْبَةُ وَالتّيْمِيّ غَــادَرْنَ فِــي الْــوَغَى ... مَا مِنْهُمْ إلا بِــذِي الْعَــرْشِ كَــافِرُ
فَأَمْسَوْا وَقُــودَ النّــارِ فِــي مُسْــتَقَرّهَا ... وَكُلّ كَفُــورٍ فِــي جَهَــنّمَ صَــائِرُ
تَلَظّى عَلَيْهِمْ وَهِيَ قَــدْ شَــبّ حَمْيُهَــا ... بِزُبُرِ الْحَدِيــدِ وَالْحِجَــارَةِ سَــاجِرُ
وَكَانَ رَسُولُ اللّــهِ قَــدْ قَــالَ أَقْبِلُــوا ... فَوَلّوْا وَقَالُوا : إنّمَــا أَنْــتَ سَــاحِرُ
لأَمْرٍ أَرَادَ اللّــهُ أَنْ يَهْلِكُــوا بِـــــهِ ... وَلَيْسَ لأَمْرٍ حَمّهُ اللّــهُ زَاجِــــرُ

**وَقَالَ " عَبْدُ اللّهِ بْنُ الزّبَعْرَى " يَبْكِي قَتْلَى بَدْرٍ :**

مَــاذَا عَلَــى بَــدْرٍ وَمَــاذَا حَوْلَــهُ ... مِنْ فِتْيَــةٍ بِــيضِ الْوُجُــوهِ كِــرَامِ
تَرَكُــوا نُبَيْهــاً خَلْفَهُــمْ وَمُنَبّهــاً ... وَابْنَيْ رَبِيعَةَ خَيْــرِ خَصْــمِ فِئَــامِ
وَالْحَــارِثَ الْفَيّــاضَ يَبْــرُقُ وَجْهُــهُ ... كَالْبَــدْرِ جَلّــى لَيْلَــةَ الْــإِظْلَامِ
وَالْعَاصِــيَ بْـــنَ مُنَبّــهٍ ذَا مِــرّةٍ ... رُمْحــاً تَمِيمــاً غَيْــرَ ذِي أَوْصَــامِ
تَنْمِــي بِــهِ أَعْرَاقُــهُ وَجُــدُودُهُ ... وَمَـــآثِرُ الْـــأَخْوَالِ وَالْأَعْمَــامِ
وَإِذَا بَكَــى بَــاكٍ فَــأَعْوَلَ شَــجْوَهُ ... فَعَلَى الرّئِيسِ الْمَاجِــدِ ابْــنِ هِشَــامِ
حَيّــا الإِلَــهُ أَبَــا الْوَلِيــدِ وَرَهْطَــهُ ... رَبّ الأَنَــامِ وَخَصّــهُمْ بِسَـــلامِ

**فَأَجَابَهُ حَسّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيّ ، فَقَالَ :**

ابْــكِ بَكَــتْ عَيْنَــاك ثُــمّ تَبَــادَرَتْ ... بِدَمٍ تُعَــــــلّ غُرُوبُهَــا سَــجّامِ
مَاذَا بَكَيْــتَ بِــهِ الّــذِينَ تَتَابَعُــــوا ... هَلّــا ذَكَــرْتَ مَكَــارِمَ الْــأَقْوَامِ
وَذَكَــرْتَ مِنّــا مَاجِــداً ذَا هِمّــــةٍ ... سَــمْحَ الْخَلَــائِقِ صَــادِقَ الْإِقْــدَامِ
أَعْنِي النّبِــيّ أَخَــا الْمَكَــارِمِ وَالنّــدَى ... وَأَبَرّ مَــنْ يُــولِي عَلَــى الْإِقْسَــامِ
فَلِمِثْلِــهِ وَلِمِثْــلِ مَــا يَــدْعُو لَــهُ ... كَانَ الْمُمَدّحَ ثُــمّ غَيْــرَ كَهَــــامِ

**وَقَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ رَوَاحَةَ يَبْكِي حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطّلِب :**

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقّ لَهَا بُكَاهَا ... وَمَا يُغْنِي الْبُكَاءُ وَلا الْعَوِيلُ

عَلَى أَسَدِ الإِلَهِ غَدَاةَ قَالُوا ... أَحَمْزَةُ ذَاكُمْ الرّجُلُ الْقَتِيلُ

أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعاً ... هُنَاكَ وَقَدْ أُصِيبَ بِهِ الرّسُولُ

أَبَا يَعْلَى لَك الأَرْكَانُ هُدّتْ ... وَأَنْتَ الْمَاجِدُ الْبَرّ الْوَصُولُ

عَلَيْك سَلامُ رَبّك فِي جِنَانٍ ... مُخَالِطُهَا نَعِيمٌ لا يَزُولُ

أَلا يَا هَاشِمَ الأَخْيَارِ صَبْراً ... فَكُلّ فِعَالِكُمْ حَسَنٌ جَمِيلُ

رَسُولُ اللّهِ مُصْطَبِرٌ كَرِيمٌ ... بِأَمْرِ اللّهِ يَنْطِقُ إِذْ يَقُولُ

أَلا مَنْ مُبْلِغٌ عَنّي لُؤَيّا ... فَبَعْدَ الْيَوْمِ دَائِلَةٌ تَدُولُ

وَقَبْلَ الْيَوْمِ مَا عَرَفُوا وَذَاقُوا ... وَقَائِعَنَا بِهَا يُشْفَى الْغَلِيلُ

نَسِيتُمْ ضَرْبَنَا بِقَلِيبِ بَدْرٍ ... غَدَاةَ أَتَاكُمْ الْمَوْتُ الْعَجِيلُ

غَدَاةَ ثَوَى أَبُو جَهْلٍ صَرِيعاً ... عَلَيْهِ الطّيْرُ حَائِمَةٌ تَجُولُ

وَعُتْبَةُ وَابْنُهُ خَرّا جَمِيعاً ... وَشَيْبَةُ عَضّهُ السّيْفُ الصّقِيلُ

وَمَتْرَكُنَا أُمَيّةَ مُجْلَعِبّا ... وَفِي حَيْزُومِهِ لَدْنٌ نَبِيلُ

وَهَامَ بَنِي رَبِيعَةَ سَائِلُوهَا ... فَفِي أَسْيَافِنَا مِنْهَا فُلُولُ

أَلا يَا هِنْدُ فَابْكِي لا تَمَلّي ... فَأَنْتِ الْوَالِهُ الْعَبْرَى الْهَبُولُ

أَلا يَا هِنْدُ لا تُبْدِي شِمَاتاً ... بِحَمْزَةَ إِنّ عِزّكُمْ ذَلِيلُ

**قال " أبو دعبل الجمحي " يمدح الرسول ( ﷺ ) : -**

إنّ البيوت معادنٌ فنجارُهُ ... ذهبٌ وكلُّ بيوتهِ ضَخْمُ

عُقِمَ النِّساءُ فما يلدنَ شبيهَهُ ... إنّ النِّساء بمثلِه عُقْمُ

مُتهلّل بنَعَمْ بلا متباعدٌ ... سيّان منهُ الوفرُ والعُدْمُ

نَزْرُ الكلامِ من الحياءِ تخالُه ... ضِمناً وليسَ بجسمِهِ سقْمُ

**وقال " كعب بن زهير " : -**

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ ... مُتَيّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ

وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا ... إِلَّا أَغَنّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

هَيْفَاءُ مُقْبِلَةٌ عَجْزَاءُ مُدْبِرَةٌ ... لا يُشْتَكَى قِصَرٌ مِنْهَا وَلا طُولُ

تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلْمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ ... كَأَنَّهُ مَنْهَلٌ بِالرَّوْحِ مَعْلُولُ

شُجَّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ ... صَافٍ بِأَبْطَحَ أَضْحَى وَهُوَ مَشْمُولُ

**الى أن قال :**

تسعى الوشاةُ بجنبَيْها وقولُهم ... إنكَ يا بنَ أبي سلمَى لمقتولُ

وقالَ كلُّ خليلٍ كنتُ آملهُ ... لا ألهينكَ إني عنكَ مشغولُ

فقلتُ خلُّوا سبيلي لا أبَا لكمُ ... فكلُّ ما قدَّر الرحمنُ مفعولُ

كلُّ ابنِ أنثى وإنْ طالتْ سلامتهُ ... يوماً على آلةٍ حدباءَ محمولُ

أنبئتُ أن رسولَ اللهِ أوعدني ... والعفوُ عندَ رسولِ اللهِ مأمولُ

مهلاً هداكَ الذي أعطاكَ نافلةَ ال ... قرآنِ فيها مواعيظٌ وتفصيلُ

لا تأخذنّي بأقوالِ الوشاةِ ولمْ ... أذنبْ وإن كثرتْ في الأقاويلُ

لقدْ أقومُ بأمرٍ لوْ يقومُ بهِ ... أرَى وأسمَعُ ما لو يسمعُ الفيلُ

لظلَّ يرعدُ إلا أن يكون لهُ ... منَ الرسولِ بإذنِ اللهِ تنويلُ

حتى وضعْتُ يمنيي لا أنازعُهُ ... في كفِّ ذي نقماتٍ قيلُهُ قيلُ

لذاكَ أهيبُ عندي إذْ أكلمهُ ... وقيلَ إنكَ منسوبٌ ومسؤولُ

**إلى أن قال :**

إنَّ الرسولَ لسيفٌ يستضاءُ بهِ ... مهندٌ من سيوفِ اللهِ مسلولُ

في عصبةٍ من قريشٍ قالَ قائلهمْ ... ببطنِ مكةَ لمَّا أسلمُوا زولُوا

زالوا فما زالَ أنكاسٌ ولا كشفٌ ... عندَ اللقاءِ ولا ميلٌ معازيلُ

شمُّ العرانينِ أبطالٌ لبوسهمُ ... من نسجِ داودَ في الهَيجا سرابيلُ

بيضٌ سوابغُ قد شكتْ لها حلقٌ ... كأنهُ خلقُ الفقعاءِ مجدولُ

يمشونَ مشيَ الجمالِ الزهرِ يعصمهم ... ضربٌ إذا عردَ السودُ التنابيلُ

لا يفرحونَ إذا نالتْ رماحهمُ ... قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلُوا

لا يقعُ الطعنُ إلاَّ فــي نحورهــــــم وما لهمْ عنْ حياضِ الموتِ تهليـــلُ

وقال " النابغة الجعدي " من قصيدة يمدح فيها الرسول ( ﷺ ) :

خليليّ عُوجا ساعَــــةً، وتَهَجَّـــــرا ولُوما على ما أحْدثَ الدهرُ، أوْ ذَرَا

ولا تَجْزَعا إنّ الحيــــاةَ ذَميمــــــةٌ، فَخِفّا لِرَوْعاتِ الحوادثِ، أو قــــرا

وإنْ جاءَ أمْرٌ لا تُطيقاـــن دَفْعـــــهُ، فَلاَ تَجْزَعا ممّا قضىَ اللّهُ، وَاصْبِرا

ألمْ تَرَيا أنّ المَلامَــــــةَ نَفْعُهـــــــا قَليلٌ، إذا ما الشــيْءُ وَلّى وَأدْبَــرا

تَهــيجُ البُكَـــاءَ والنّدَامَـــةَ ثُــمّ لا تُغيّر شَيئاً، غَيْرَ مــا كان قُــدّرا

أَتَيْتُ رَسُولَ اللّـــهِ، إذ جــاءَ بالهُــدى، وَيَتْلو كِتابــاً كالمجـــرّةِ نيّــــرا

خَليليّ قــد لاقَيْــتُ مــا لــمْ تُلاقِيــا، وَسيّرتُ في الأحياء ما لــم تُسيّرا

تذكرْتُ، والذكرى تَهيجُ لــذي الهَــوَى ومن حاجةِ المَحْــزونِ أن يتــذكّرا

داماىَ عِنْــدَ المُنْــذِرِ بْــن مُحــرّقٍ، أرى اليَوْمَ مِنْهُم ظاهر الأرض مقفــرا

كُهُــولاً وشُــبّاناً، كــأنّ وجــوهَهُم دَنَانيرُ ممّا شيفَ في أرضِ قَيْصَــرَا

وما زِلْتُ أسْـعى بَـيْنَ بــابِ وَدارِهِ، بِنَجْرَانَ، حتى خِفْـتُ أن أتَنَصّــرا

لــدى مَلِــكٍ مِــنْ آل جَفْنَــةَ، خَالُــه وَجَدّاهُ منْ آل امرِىءِ القيسِ أزهرَا

يُـــديرُ عَلَيْنَــا كأسَـــهُ وشِــواءَهُ مَناصفُهُ والحَضْــرَميُّ المُحَبَّـــر

**إلى ان قال :**

بَلَغْنَا السّما مَجْـداً وَجُـوداً وَسُـودَداً، وإنّا لَنَرْجو، فَــوْقَ ذَلــكَ، مَظهــرا

وكــلُّ مَعَــدّ قَــد أحَلّــتْ سُـيُوفُنَا جَوَانِبَ بَحْرٍ،ذي غَوَارِبَ، أخْضَــرا

لَعَمْــرِي لَقَــدْ أنْــذَرْتُ أزْداً أناتَهــا، لِتَنْظُــرَ فــي أحْلامهــا وَتُفَكّــرا

وأعرَضْتُ عَنْهــا حِقبــةً، وتَرَكْتُهــا، لأبْلُغَ عُذْراً عِنْـدَ رَبّــيَ، فأُعــذرا

وما قُلْتُ حتّى نــالَ شَــتْمٌ عَشــيرَتي نُفَيْلَ بن عَمْرو والوَحيــدَ وَجَعْفَــرا

وَحَيَ أبــي بَكْــرٍ، وَلاَ حَــيٌّ مِــثْلُهُم، إذا بَلَغَ الأمْــرُ العَمَــاسَ المُـدَمِّرا

فقال النبي (ﷺ) : فأين المظهر يا أبا ليلى ؟ فقال : الجنة . قال النبي ( ﷺ ): إن شاء الله .

**ومن احكم شعر " معن بن أوس " وأعفه قوله : -**

لَعَمْـرُكَ مـا أهْوَيْـتُ كفِّـي لريبَـةٍ ... ولا حَمَلَتْنِي نَحْـوَ فاحِشَـةٍ رِجْلِـي
وأعلَـمُ أنِّـي لـم تُصِـبْنِي مُصِـيبَةٌ ... مِن الدَّهْرِ إلاّ قد أصابَتْ فَتىً قَبْلِـي
ولا قادَنِي سَـمْعِي ولا بَصَـرِي لَهـا ... ولا دَلَّنِـي رَأْيٌ عَلَيْهـا ولا عَقْلِـي
ولا مُؤثِراً نَفْسِـي علـى ذِي قَرابَـةٍ ... وأُثِرُ ضَيْفِي، ما أقامَ، علـى أهْلِـي

**وقال " عبدة بن الطيب " يرثى " قيس بن عاصم المنقرى " .**

عليكَ سـلامُ اللهِ قَـيْسَ بـن عاصِـمٍ ... ورَحْمَتُهُ ما شـاءَ أنْ يَتَرَحَّمـا
تَحِيَّةَ مَنْ غادَرْتَـهُ غَـرَضَ الـرَّدَى ... إذا زارَ عن شَـحْطٍ بِـلادَكَ سَـلَّما
فما كان قَـيْسٌ هُلْكُـهُ هُلْـكُ واحِـدٍ ... ولكنَّـه بُنيـانُ قَـومٍ تَهَـدَّما

**وقال " متمم بن نويرة " فى رثاء أخية " مالك " وهى طويلة :**

جميلُ المُحيَّا ضـاحكٌ عنـد ضَـيفِهِ ... أغرُّ جميعُ الرَّأيِ مشتملُ الرَّحْـلِ
وقَـورٌ إذا القَـومُ الكـرامُ تقـاولُوا ... فحُلَّت حباهُمْ واستُطيروا من الجهلِ
وكُنْـتَ إلـى نفسـي أشـدَّ حـلاوةً ... من الماءِ بالماذيّ من عسلِ النَّحـلِ
وكلُّ فتىً في النَّاسِ بعـد ابـنِ أُمِّـهِ ... كساقطةٍ إحدى يديـهِ مـن الخَبـلِ
وبعضُ الرِّجالِ نخلـةٌ لا جَنَـى لهـا ... ولا ظِلَّ إلاَّ أن تُعَـدَّ مـن النَّخـلِ

**وقال " العباس بن مرداس " :**

تَـرَى الرَّجُـلَ النَّحيـفَ فتَزْدَرِيـهِ ... وفـي أثْوابِـهِ أسَـدٌ مَزِيـرُ
ويُعْجِبُـك الطَّرِيـرُ فتَبْتَلِيـهِ ... فيُخْلِـفُ ظَنَّـكَ الرَّجُـلُ الطَّرِيـرُ
فمـا عِظَـمُ الرِّجـالِ لَهُـمْ بفَخْـرٍ ... ولكـنْ فَخْـرُهُمْ كَـرَمٌ وخيـرُ
بُغـاثُ الطَّيْـرِ أكْثَرُهـا فِراخـاً ... وأُمُّ الصَّـقْرِ مِقْـلاتٌ نَـزُورُ
ضِعـافُ الطَّيْـرِ أطْوَلُهـا جُسُـوماً ... ولَـمْ تَطُـلِ البُـزاةُ ولا الصُّـقُورُ
لَقَـدْ عَظُـمَ البَعِيـرُ بغَيْـرِ لُـبٍّ ... فَلَـمْ يسْـتَغْنِ بالعِظَـمِ البَعِيـرُ
يُصَـرِّفُهُ الصَّـبِيُّ بكُـلِّ وَجْـهٍ ... ويَحْبِسُهُ علـى الخَسْـفِ الجَرِيـرُ

وتَضْـــــربُهُ الوَلِيـــــدَةُ بِـــــالهَراوَى فَـــــلا غِيَـــــرٌ لَدَيْـــــه ولا نَكِيـــــرُ

فـــإنْ أَكُ فـــي شِـــراركُمُ قَلِـــيلاً فـــإِنِّي فـــي خِيـــارِكُمُ كَثِيـــرُ

**وقال " الحطيئة " فى آل شماس ، قوم بغيض :**

أَلاَ طَرَقَتْنَـا بعـدَ مـا هَجَعُـوا هِنْـدُ وقد جُزْنَ غَوْراً واستَبانَ لنـا نَجْـدُ

وإنّ التـي نَكَّبْتُهـا عـن مَعَاشِـرٍ عَلَيَّ غِضَابٍ أنْ صَدَدْتُ كما صَدُّوا

أتَـتْ آلَ شَـمَّاس بـنِ لأْيٍ وإنمـا أتاهم بها الأحلامُ والحَسَـبُ العِـدُّ

فإنّ الشقيَّ مـن تُعـادِي صـدورُهم وذو الجَدِّ مَن لأنُوا إليه ومَـن وَدُّوا

يُسوسـون أحلامـاً بعيـداً أناتُهـا فإن غَضِبُوا جاءَ الحَفِيظَـةُ والجِـدُّ

أقِلُّـوا علـيهم لا أبـا لأبِـيكُمُ مِن اللوم أو سُدُّوا المكانَ الذي سَدُّوا

أولئك قومٌ إن بَنَـوا أحسـنوا البُنَـى وإن عاهدُوا أَوْفَوْا وإن عَقَدُوا شَدُّوا

وإن كانت النُّعْمَى عليهم جَـزَوْا بهـا وإن أنعمُوا لا كـدَّروها ولا كَـدُّوا

وإن قال مَوْلاَهُمْ علـى جُـلِّ حـادثٍ من الدهر رُدُّوا فَضْلَ أحلامِكم رُدُّوا

مَطَاعينُ في الهَيْجا مَكَاشِيفُ للـدُّجَى بَنَـى لـهم آبـاؤهم وبَنَـى الجَـدُّ

هذا،وقد تقدم أن ذَكَرْنا أن مسلك الرسول ( ﷺ ) وخلفائه من الشعر كان سليماً،وذكرنا تشجيعه لـ " حسان بن ثابت " ومكافأته " كعب بن زهير " ورغبته فى استماع الشعر مما كان له أثر فى نهضة الشعر.

فلقد حكى " ابن هشام " أن رسول الله ( ﷺ ) لما قال للأنصار : ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسيافهم أن ينصروه بألسنتهم.

**فقال حسان** : أنا لها وأخذ بطرف لسانه وقال:والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:" كيف تهجوهم وأنا منهم وكيف تهجو أبا سفيان وهو ابن عمي " فقال : يا رسول الله لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين فقال:" إِئْـتِ أبا بكر فإنه أعلم بأنساب القوم منك ،

فيحدثك حيث القوم وأيامهم وأحسابهم ، ثم أهجهم وجبريل معك ، فأخذ " حسان " يهجوهم ، وكثيراً ما كان يقول له ( ﷺ ) : شن الغارة على بنى عبد مناف فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع الحسام فى غلس الظلام .

ولقد استمع رسول الله ( ﷺ ) " لكعب بن زهير " لاميته المشهورة ( بانت سعاد ) فعفا عنه وأثابه بردة اشتراها منه " معاوية "بعد وفاته بثلاثين ألف درهم وتداولها من بعده الخلفاء يلبسونها فى الجمع والأعياد، بل لقد تأثر رسول الله (ﷺ) حينما أنشدته " قتيلة بنت الحارث " أخت النضر **وقد قتل بعد وقعة بدر ،**

يَا رَاكِباً إنّ الأُثَيْلَ مَظِنّةَ ... مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقُ

أَبْلِغْ بِهَا مَيْتاً بِأَنّ تَحِيّةً ... مَا إنْ تَزَالُ بِهَا النّجَائِبُ تَخْفُقُ

مِنّي إلَيْك وَعَبْرَةً مَسْفُوحَةً ... جَادَتْ بِوَاكِفِهَا وَأُخْرَى تَخْنُقُ

هَلْ يَسْمَعُنِي النّضْرُ إنْ نَادَيْتُه ... أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيّتٌ لَا يَنْطِقُ

أَمُحَمّدٌ يَا خَيْرَ ضَنْءِ كَرِيمَةٍ ... فِي قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ

مَا كَانَ ضَرّك لَوْ مَنَنْت وَرُبّمَا ... من الفَتَى وَهُوَ الْمَغِيظُ الْمُحْنَقُ

أَوْ كُنْت قَابِلَ فِدْيَةٍ فَلْيُنْفِقَنْ ... بِأَعَزّ مَا يَغْلُو بِهِ مَا يُنْفِقُ

فَالنّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَسَرْت قَرَابَةً ... وَأَحَقّهُمْ إنْ كَانَ عِتْقٌ يُعْتَقُ

ظَلّتْ سُيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنُوشُهُ ... لِلّهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تُشَقّقُ

صَبْراً يُقَادُ إلَى الْمَنِيّةِ مُتْعَباً ... رَسْفَ الْمُقَيّدِ وَهُوَ عَانٍ مُوثَقُ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : فَيُقَالُ وَاَللّهُ أَعْلَمُ إنّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ لَمّا بَلَغَهُ هَذَا الشّعْرُ قَالَ لَوْ بَلَغَنِي هَذَا قَبْلَ قَتْلِهِ لَمَنَنْت عَلَيْه " .

ولقد سار خلفاؤه ( ﷺ ) من بعده إزاء الشعر كما سار وما منهم إلا من تمثل بالشعر أو قاله أو حض على روايته وحرص على حفظه ، وكانت السيدة "

عائشة رضي الله عنها " كثيرة الرواية للشعر حتى قيل أنها مالت حفظ شعر " لبيد " وكانت تقول :

" رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم،وكانوا يحضون على حفظ ما هو حسن مفيد ، ويعاقبون على ما هو شائن ضار . فضربوا على أيدى الشعراء الخارجين عن سياج العفة والدين بالهجوا المقذع والتشبيب الفاحش ونعت الخمر ، وما إلى ذلك فهذا " عمر " حبس " الحطيئة " لإقذاعه فى هجاء " الزبرقان بن بدر " ولم يطلق سراحه على كثرة اسعتطافه،إلا قصيدة رق لها " عمر " **وهى** :

| | |
|---|---|
| مـــاذا تَقُــولُ لأَفْــراخٍ بِــذِي مَــرَخٍ | حُمْرِ الحَواصِلِ لا ماءُ ولا شَجَـــرُ |
| أَلْقَيْــتَ كاسِــيَهُمْ فــي قَعْــرِ مُظْلِمَـــة | فاغْفِرْ، عليكَ سَلامُ اللّهِ يــا عُمَــرُ |
| أَنْتَ الإمامُ الذي مِــن بَعْــدِ صــاحِبِهِ | أَلْقَتْ إليكَ مَقالِيــدَ النُّهَــى البَشَــرُ |
| لَمْ يُــؤْثِرُوكَ بهــا إذْ قَــدَّمُوكَ لَهـــا | لكنْ لأَنْفُسِهِمْ كانــتْ بــكَ الخِيَــرُ |
| فامْنُنْ على صِبْيَةٍ بالرَّمْلِ مَسْــكَنُهُمْبَيْنَ | الأبـــاطِحِ تَغْشــاهُمْ بِهـــا القِــرَرُ |
| أَهْلِــي فِــداؤُكَ، كــم بَيْنِــي وبَيْــنَهُمُ | مِن عَرْضِ دَوِّيَّةٍ يَعْمَى بها الخَبــرُ |

وهذا " عثمان " رضي الله عنه حبس " ضابيء بن الحرث بن أرطاة، من بني غالب بن حنظلة، بن البراجم، وكان استعار كلباً من بعض بني جرول بن نهشل، فطال مكثه عنده، فطلبوه فامتنع عليهم، فعرضوا له فأخذوه منه، فغضب ورمى أحدهم بالكلب واسم الكلب قرحان **فقال**:

| | |
|---|---|
| تَجَشَّــمَ دُونــى وَفْــدُ قُرْحــانَ شُــقَّةً | تَظَلُّ بها الوَجْنــاءُ وهْــيَ حَسِــيرُ |
| فـــأَرْدَفْتَهُمْ كلْبـــاً فراحُـــوا كأنمـــا | حَبَــاهُمْ بتـــاجِ الهُرْمُـــزَانِ أَمِيـــرُ |
| وقَلَّـــدتُهُمْ مـــا لـــو رَمَيــتُ مُتَالِعـــاً | بـــه وهـــو مُغْبَـــرٌ لكـــادَ يَطِيـــرُ |
| فيا راكِبـــاً إمَّـــا عَرَضْـــتَ فبَلِّغَـــنْ | ثُمَامَةَ عَنِّـــى والأُمُـــورُ تَـــدُورُ |
| فـــأُمَّكُمُ لا تَتْرُكُوهـــا وكَلْبَكُـــمْ | فـــإنَّ عُقُـــوقَ الوالِـــداتِ كبِـــيرُ |

فإنَّكَ كَلْبٌ قد ضَريتَ بما تَرَى ... سَميعٌ بما فَوْقَ الفِرَاشِ خَبيرُ
إذا عَثَّتْ من آخِرِ اللَّيْلِ دُخْنَةٌ ... يَبيتُ لها فَوْقَ الفِرَاشِ هَريرُ

فاستعدوا عليه عثمان بن عفان، فحبسه، وقيل أنه مات فى السجن.

وهكذا نجد أن الخلفاء قد حرصوا على حفظ الشعر وروايته لا للتلهى به أو تأديب النفس فحسب ، بل لأنهم وجدوا أن تعلمه ضرورى لفهم القرآن ، **فقد قال " ابن عباس "** ﷺ ، " اذا قرأتم شيئاً فى كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه فى أشعار العرب ".

# تأثير الإسلام فى الشعر

لقد جاء الإسلام بالجِد الذى لم يعرفه العرب ، فشغلوا أوقاتهم فى تحصيل الدين،ونشر تعاليم ،وابطال كثير من عادات الجاهلية وأباطيلها وحرم عليهم الكذب،واشاعة الفاحشة فى الناس،وقذف المحصنات كما قضى على العصبية التى بددت شملهم،وفرقت جمعهم،فكان لهذا أثر فى تعطيل آلة الشعر،وتغيير نغمتها،وفتور كثير من الاغراض القديمة،كتأريث العداوات،وذكر العورات، والوقوع فى الاعراض والفخر الكاذب والهجاء المقذع .

كما كان للقرآن – وهو فى الذروة- من الفصاحة والبلاغة أثر فى انبهار كثير من الشعراء حتى بلغ ببعضهم أن انقطع عن قول الشعر "كَلَبِيد" وهو فَحْل من فحول الجاهلية وروى أنه لم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً، **وهو،**

الحَمْدُ لِلهِ إذْ لم يأْتِنى أَجَلِى  حتَّى كَسَاني مِنَ الإسلامِ سِرْبَالاَ

ومن حديث "لَبِيد" أن "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه أرسل الى عاملة على "البصرة" أن أرسل "لبيد والأغلب" ما أحدثنا فى الإسلام ؟

**فقال الأغلب ،**

أرجزاً تريد أم قصيدًا  لقد سألتَ هيّنا موجودا

**وقال لبيد** : قد أبدلنى الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران ، فزاد عمر فى عطائه ، فبلغ به ألفين،فلما ولى " معاوية " قال :أو تدعنى قليلاً ثم تضم عطائي الى عطائك فتأخذ العطاءين جميعا ؟

وأما من لم ينقطع عن قول الشعر ، فقد تركت فيه مفاجأة القرآن أثراً من الضعف ، كما تقدم الكلام فى " حسان " .

ونستطيع بعد ذلك أن ندلى بعض أمثلة كان الشعراء فيها متأثرين بأسلوب القرآن سالكين نهجهم ، **فالقرآن يقول،**

﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ:٢٤].

ويقول : ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨]

**أخذ الأول " حسان " فقال فى الرد على " ابى سفيان " حين هجا النبي ( ﷺ ) ،**

هَجَوْت مُحَمَّداً وأَجَبْت عَنْهُ ... وعِنْدَ اللّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ

أَتَهْجُوهُ ولَسْت لَهُ بِكُفْءٍ ... فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ

هَجَوْت مُبَارَكاً بَرّا حَنِيفاً ... أَمِينَ اللّهِ شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ

أَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللّهِ مِنْكُمْ ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ ؟

**وأخذ الثاني أيضا فى رثاء رسول الله ( ﷺ ) فقال ،**

عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجُورُوا عَنْ الْهُدَى ... حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا

عُطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يُثَنِّى جَنَاحُهُ ... إِلَى كَنَفٍ يَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيَمْهَدُ

فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ النُّورِ إِذْ غَدَا ... إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنْ الْمَوْتِ مُقْصِدُ

**والقرآن يقول** : ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ [الرعد:١٦]

**و يقول** : ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الإسراء:٢٤]

**أخذ الاول " حسان " فقال ،**

وَهَلْ يَسْتَوِي ضُلَّالُ قَوْمٍ تَسَفَّهُوا ... عِمَايَتَهُمْ هَادٍ بِهَا كُلُّ مُهْتَدِ

لَقَدْ نَزَلَتْ مِنْهُ إِلَى أَهْلِ يَثْرِبِ ... رِكَابُ هُدًى حَلَّتْ عَلَيْهِمْ بِأَسْعَدِ

**وأخذ الثاني " معن بن أوس " فقال :**

فما زلتُ في لِيني له وتعطُّفي ... عليه كما تحنو على الولَدِ الأمُّ
وخَفْضي له مني الجناحَ تألُّفاً ... لتُدْنِيَهُ مني القرابةُ والرَّحْمُ
وصَبْري على أشياءَ منه تريبني ... وكَظْمي عن غيظي وقد ينفع الكَظْمُ

والقرآن يقول : ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٦١﴾ ﴾

[الحج:٦١]

**أخذه " النابغة الجعدي " فقال :**

الحمدُ لله لا شريكَ لَهُ ... مَنْ لم يقُلْها فنَفْسَه ظلَمَا
المُولجِ اللَّيْلَ في النَّهارِ وفي الـلَّ ... يلِ نَهاراً يُفَرِّجُ الظُّلَمَا
الخافِضِ الرَّافِعِ السَّمَاءَ على الْ ... أرْضِ ولم يَبْنِ تَحْتَهَا دِعَمَا

والأمثلة على ذلك كثيرة جداً ، ولاسيما فى أشعار " حسان " وعبد الله بن رواحه وأمية بن أبى الصلت ، وغيرهم ممن كانت له نزعة إلى الدين :

**قال " عبد الله بن رواحة " :**

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء حق ... وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة غلاظ ... ملائكة الإله مسومينا

كما نجد أن الشعر فى صدر الإسلام قد بدأ فى روحه ومعانية مملوءاً بالتقوى والورع ،وذَكَر البعث والجنة والنار.

**يقول " بجير " أخو " كعب بن زهير " :**

مَنْ مُبْلِغٌ كَعْباً فَهَلْ لَكَ فِي الَّتِي ... تَلُومُ عَلَيْهَا بَاطِلاً وَهِيَ أَحْزَمُ
إِلَى اللَّهِ(لَا الْعُزّى وَلَا اللَّاتِ)وَحْدَهُ ... فَتَنْجُو إِذَا كَانَ النَّجَاءُ وَتَسْلَمُ
لَدَى يَوْمِ لَا يَنْجُو وَلَيْسَ بِمُفْلِتٍ ... مِنْ النَّاسِ إِلَّا طَاهِرُ الْقَلْبِ مُسْلِمُ
فَدِينُ زُهَيْرٍ وَهُوَ لَا شَيْءَ دِينُهُ ... وَدِينُ أَبِي سُلْمَى عَلَيَّ مُحَرَّمُ

**ويقول أبو ذؤيب الهذلى :**

أبـــا عُبَيـــد رُفـــع الكتـــابُ ... واقتـــرب الموعـــد والحســـابُ

**ويقول " كعب بن زهير " :**

لَوْ كُنْت أَعْجَبُ مِنْ شَـيْءٍ لَـأَعْجَبَنِي ... سَعْيُ الْفَتَى وَهُوَ مَخْبُوءٌ لَـهُ الْقَـدَرُ

يَسْعَى الْفَتَـى لِـأُمُورٍ لَـيْسَ يُـدْرِكُهَا ... فَالنَّفْسُ وَاحِدَةٌ وَالْهَمّ مُنْتَشِـــرُ

وَالْمَرْءُ مَا عَـاشَ مَمْـدُودٌ لَـهُ أَمَـلٌ ... لَا تَنْتَهِي الْعَيْنُ حَتَّى يَنْتَهِـي الْـأَثَرُ

**أين هذا التصوير البارع لحقيقة القضاء والقدر من قول والده " زهير بن أبى سلمى " وهو من أحكم شعراء الجاهلية ، إذ يقول :**

سئمت تكاليف الحيـاة ومـن يعـش ... ثمانين حـولاً لا أبـا لـك يسـأم

رأيت المنايا خبط عشواء من تصـب ... تمته ومن تخطـئ يعمَّـر فيهـرمِ

**حتى الشعراء البعيدة نفوسهم عن تهذيب الذين ظهر التاثر فى شعرهم ، يقول " الحطيئة " :**

ولســت أرى الســعادة جمــع مــال ... ولكـــنّ التقـــيّ هـــو الســـعيد

وتقــوى اللّــه خيــر الــزاد ذخــراً ... وعنـــد اللّـــه للأتقـــى مزيـــد

ومـــا لا بـــدّ أن يـــأتي قريـــبٌ ... ولكـــنّ الـــذي يمضـــي بعيـــد

**وقال الحطيئة ، وهو أحكم بيت بالإجماع :**

مَن يَفْعَلِ الخَيـرَ لا يَعْـدَمْ جَـوَازِيَ ... لا يذهبُ العُرْف بـين الله والنـاسِ

وبعد،فقد يبدو للنظر السطحي أن يسرع تأثير القرآن الكريم فى الشعر فيبدو الشعر كله رقيقاً فى أساليبه،إسلامياً فى روحه ومعانية مع أن قسماً كبيراً من شعراء البداية الذين أسلموا مسايرةً للناس طوعاً أو كرهاً ظل شعرهم فى الإسلام كما هو فى الجاهلية فما سر تحقق سرعة التأثير ؟

**لذلك أسباب :**

١- منها ما أسلفنا أن الطفرة محال،وأن تجديد الشعر يسلتزم دراسة القرآن وتعاليم الدين وتشريبها،وطبع الملكات ، النفسية واللِّسانية بطابعها ، وذلك يحتاج الى وقت طويل،وهيهات أن يحدث ذلك فى شهور أو سنوات،لذلك سنلاحظ أن من المخضرمين من استمرت ملكاته جاهلية " كالحطيئة " ومنهم من ترك الشعر " كلبيد " ومنهم من اضطرب بين الملكتين حتى ضعف شعره " كحسان "

٢- ومنها أن تأثير القرآن الكريم المنتظر كان يقوم وقفاً على أولئك الذين اتصلوا بالرسول ( ﷺ ) ودرسوا القرآن الكريم وتفهموه وهم . أولا : قليل بالنسبة الى أولئك العرب الذين أسلمت ألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ، أو هؤلاء البدو الذين تشبسوا بحياتهم ولزموا كثيراً من عاداتهم التى حاربها الرسول ( ﷺ ) وتبعه فى ذلك " عمر بن الخطاب " .

**ثانياً ،** على هؤلاء الأقربين الى الرسول ( ﷺ ) كما اسلفنا لم تسرع إلى نفوسهم وألسنتهم ملكات القرآن الكريم الأدبية فلم يظهر شعرهم الديني إلا على ألسنة الجيل الجديد،وأما " حسان " فمع أنه دعا الى الدين الجديد وتعلقه به لكن ملكته الدينية لم تكن فى قوة الطبع الشعرى القديم ، فكان هناك فرق بين ملكته القديمة والحديثة .

**٣- ومنها أن هؤلاء الذين آمنوا بالقرآن مخلصين قد تلقوه على أنه نص قدسي معجز لا يمكن معارضته ، فكان القرآن مثلاً أعلى لا يطمع أحد فى تقليده ، فاستغنوا به عن قول الشعر كما حدث " للبيد " .**

# تطور النثر فى عصر البعثة

## تعريف النثر :

قبل الكلام فى هذا الموضوع يجب أن نعرف كلمة نثر ما هى ؟وماذا يراد منها فى هذا البحث ؟ أمَعْنَاها المراد هنا اللغوي،أي كل كلام منثور لم يتقيد بوزن ولا قافية،مهما يكن لفظه صحيحا جميلا أو لا،ومهما يكن معناه قيماً أو لا ؟

**أم معناه الاصطلاحي هو المقصود منه حين يطبق فى باب الأدب،ويراد به الكلام المنثور المتميز بميزتين ،**

**المعنى القديم ، واللفظ الصحيح الجميل .**

واذا كان المعنى الثانى هو المراد فهل نقف به عند ذلك النوع الأدبي أو الفني الذى يشبه الشعر فى أن كلا منهما يرمى الى التأثير ويقصد الى اثارة الشعور، أو يتناول أيضا ذلك النثر العلمى ، الذى يرمى الى التثقيف والتعليم ، كالفلسفة والدين والتاريخ والنقد،وإن لم يَخْلُ من عاطفةٍ وإحساس .

## أنواعه :

**ومعنى ذلك أن عندنا أنواعاً من النثر ، ثلاثة هى :**

١- المحادثة

٢- النثر الفني

٣- النثر العلمي

### ( ١ ) المحادثة : -

قد جرى الباحثون على إخراج المحادثة من باب الأدب لأنها كلام عادى مكرور لا يستأهل التسجيل والدروس،ولفقدانه جمال العبارة وصحتها أحياناً،ثم قيمة المعنى،ولكننا بإزاء العصر الاسلامي المسبوق بالعصر الجاهلي يجب أن تقف

قليلاً لنلاحظ أن هذه المحادثة،فيما يظهر - كانت صحيحة العبارة خاليةً من الخطأ واللَّحن . إذ هى الصورة اللغوية الأولى التى كانت مقياس النثر ، وعنها وضعت قواعد النحو ، ونحن لا اعتراض لنا من الناحية اللَّفظية الصحيحة ، **ولكننا نسال بعد ذلك** : ألم تكن هذه اللغة حواراً أحياناً ، وحكمه وأمثالا وعبارات متميزة فى معانيها فوق صحة ألفاظها أحياناً؟

وإذاً فما يمنع أن يكون هذا الحوار أو الحديث أدباً ؟

الحق أنه لا فرق بين هذا الحوار الذى كان وبين الحوار الذى تهيأ الآن فى لغة صحيحة،ويدور حول مسائل اجتماعية أو وصفية أو غير ذلك ، وغاية ما نريد إثباته أن المحادثة الإسلامية ( وقبلها المحادثة الجاهلية ) كانت أقرب الى اللغة الأدبية من محادثاتنا الآن فقد كان للعرب مجالس سمر ، وقصص وحوار ومشاورات تعقد فى الليل وسط الحى أو بين الأحياء يتناول فيها القوم شئون الحياة ، وأخبار الماضى والحاضر يغذون بها أبناءهم ، ويرفهون بها أنفسهم ، وكثيراً ما يشترك فيها النساء ، فكانت أشبة شيء بالمجالس أو المنتديات الأدبية ولو قد حققوا لنا التاريخ صوراً منها إفادتنا كثيراً فى تصوير الحياة الاجتماعية لهذا الشعب العتيق.

على أن محادثات الرسول ( ﷺ ) وأصحابه ( وقد بقى منها شيء كثير ) **تعرض علينا صورة لهذه المحادثة ،**

١- فى قريش ،

٢- وفى آخر العصر الجاهلي ،

وهى صورة تقريبية على أية حال فقد ظهر الإسلام والرسول ( ﷺ )يتحدث لغة قرشية فصيحه،وهى لغته قبل القرآن وهى كذلك لغة الحديث الجاهلية

فى صياغتها النحوية،بقيت كذلك من ناحية الصياغة العامة لم تتغير،فكانت أحاديث الرسول ( ﷺ ) صورةً للغة التخاطب الجاهلية ولا يطعن فى ذلك ما قد يكون فى رواية الأحاديث من تغيير لأن التغيير لم يعم الأحاديث من جهة ولم يتناول عبارات كل حديث من جهة أخرى على أن هناك عبارات تروى على أنها من ابتكار الرسول( ﷺ) رويت بنصها مع جملة صالحة من الأحاديث الصحيحة،تصور لغة للحديث لا تختلف عن لغة القرآن الكريم فى الصياغة النحوية .

وكذلك القول فى لغات"أبى بكر،و عمر،وعثمان،و على،وسفيان ابن أمية " و غيرهم من آل الرسول ( ﷺ ) وقريش ممن كانوا يتناقشونه حول الإسلام .

ويحسن أن نلاحظ أنه فى صدر الإسلام لم يكن هناك فرق فى هذه الصياغة بين الحديث والخطابة والكتابة فهى كلها لغة طبيعية لا صنعة فيها ولا فن .

معنى ذلك أن لغة التخاطب فى صدر الإسلام هى لغة التخاطب فى الجاهلية وإن تغيرت معانيها وموضوعاتها،نستطيع إذا أن نُقَرِب إلى الاذهان لغة التخاطب والكتابة والقصص كما قلنا،وكم يلي التفصيل ، فهى قوية الاداء سليمة البناء،صحيحة الإعراب حتى على ألسنة الموالى الطّويلى المكث بينهم أما حديثوا العهد فى الإقامة منهم فقد كانوا يرتضحون لَكْنَـــه من لُغَـــتِهم الأولى لحبشية بلال،وفارسية سلمان،ورومية صهيب .

وعلى الجملة فكانت المحادثة العادية خالية من اللحن وإن بدا من بعضهم بعض اللحن فقد كان ينظر إليه نظرة استهجان له واستعظام لما صدر منه فقد روى أن رجلاً لحن بحضرة النبي( ﷺ )فقال:" أرشدوا أخاكم فقد ضل . ولذلك قيل :

إن العربي الفصيح لا يخطىء لأن الإعراب جزء من لهجته لا ينفصم عنها فهى هذه الفترة سليمة من الخطأ إلا إذا اختلطت الأمة السليمة فتسمى حينئذ لغة عامة أو شعبية لا تعد فى نظر النقاد أدبا لسببين :

**الأول** ، معنوى وهو تفاهة المعاني أو تكرارها وعدم نباهتها وعدم امتيازها فلا تستحق العناية والتسجيل .

**الثاني** : لفظي وهو تعرضها للأخطاء وتجاوز أصول النحو والبيان وليس لدينا نصوص حاسمة لهذه اللغة العامة اذا لم تدون ولم يَحْكِها الرواة بالدقة فى عصر التدوين بعد ذلك فذهبت صورتها الدقيقة فى جنبات الصحراء .

**( ٢ ) النثر الفني**

قبل أن نتقدم الى إيضاح النثر الفني فى هذه الفترة ينبغى أن نشير فى إيجاز شديد الى نشأة الحياة الفنية عامة والفرق بينهما وبين الحياة العلمية فى ذلك،وأول ذلك أن الحياة الفنية أسبق الى الوجود من الحياة العلمية إذ كانت الأولى تجارب ابتدائية وأخذا عن الطبيعة والحياة بشكل يشبه الاستقرار والتقليد ولكن الثانية تدوين لثمار هذه التجارب وإخضاعها لقوانين عامة تجمع شتاتها ، وتميز بين أنواعها وتردها إلى عللها العامة ومصادرها الأولى،فقد عرف الانسان الكوخ والدار قبل معرفته العمارة وهندستها،ووجدت الجزيرة قبل تعريفها الجغرافى . ونظم الشعراء قبل تدوين العروض،وأعجب الناس بألوان الطيف قبل تفسيره ،وهكذا نجد الفن يسبق ثم يكون أساساً لتكوين العلوم لذلك ترى أن الحياة الفنية يمكن أن تزدهر فى عصر البداوة ما دامت تعتقد فى الغالب على الشعور فيكبر الشعر والخطابة إلى الوجود بعد تكوين الجماعات ولكن الحياة العلمية لا

توجد إلا فى البيئات المستقرة والمدن القائمة لتيسر للعقل الهدوء والتفكير والموازنة والاستنباط والتجارب من التدوين،ومن هنا نرى التاريخ الاسلامي العام أن النثر العلمي تأخر فى الوجود وكذلك النثر الفني الذى يعتمد على التجود والصنعة وحسن التفكير ودقة التعليل :( الكتابة الانشائية ) .

**فالحياة الفنية** سابقة على الحياة العلمية وكذلك الفنون كلها كالرسم والغناء والرقص والتمثيل توجد فى عصور سابقة قبل أن تتحضر الشعوب وتستقر لإقامة الحياة العلمية المنظمة وسواء أكانت غاية الفنون الجميلة هى التعبير أم السرور أم الفائدة فإنها متشابهة الغايات وإن اختلفت فى وسائل الأداء فهى فى الشعر أو الأدب كلام أو لغة كلامية وهى فى الرسم ألوان أو لغة لونية وهى فى التصوير أحجار وفى الغناء أنغام وفى الرقص أجسام ، وهكذا كانت لغة الفن مختلفة وغايتها واحدة ومنها اللغة الأدبية التى كانت وسيلة الحياة الأدبية.

والنثر الفنى الأدبي يتناول الخطبة والرسالة والقصة والحكمة والمثل و ونحوها مما هو نصوص أدبية يراعى منها ناحية التأثير وإثارة العواطف ولسنا نشك فى أن شيئاً من ذلك قد وجد ولا سيما الخطابة والكتابة والمعاهدات والرسائل السياسية والتشريعية ، لأن الحياة الاجتماعية فى ذلك العهد كانت تستدعى الخصومات والدعوة الدينية فكان لابد من ألسنة تصور هذه الحوادث .

## ( ١ ) الخطابة : -

ولقد كانت الخطابة فى الجاهلية أداة اجتماعية هامة للحرب والصلح والوفادة والزواج والمفاخرة والمنافرة والوعظ ، وجاء الإسلام فازدادت نشاطا وأخذت تستميل كذلك فى موضوعاتها ومعانيها وألفاظها ، نشطت استجابةً لهذه

الدعوة الجديدة وتغيرت فصارت دعوة دينية وسياسية وحزبية وإجتماعية **وظهر أثر القرآن فيها سريعاً .**

١- لقربها من فنه .

٢- ولاعتمادها عليه مباشرة .

٣- ولاقتباسها من آية .

٤- ولأنها فن سريع شفوى خصوصاً لدى العرب .

ومن تتبع نصوصها ، وأطلع على شواهدها ، وأمعن النظر فى نماذجها تبين له متانة أسلوبها ، وعذوبة ألفاظها ، وشرف معانيها ، وقوة تأثيرها ، واقتباسها من القرآن،وانتهاجها نهجه فى الارشاد والاقناع ثم زادها عظمةً ورقياً إلى أن جاء القرآن نثراً لا شعراً وإن بلغ بنثره من التأثير فى النفوس والوصول إلى مواطن الحجة والاقناع ما لم يبلغه الشعر،من قبل،وإن جاء رسول الله ( ﷺ ) غير شاعر يتصرف بخطابته تصرفاً تناول شتى الأمور من دعوة الى الدين وبيان أحكامه ، ورسم سياسة الدولة الدينية والاجتماعية والتشريعية،ومن تحميس الجند وحثهم على القتال والدفاع،وقمع الفتن،ورد البدع والحض على لزوم الطاعة وغير ذلك من جلائل الأمور التى يقصد قصدها،ويتجه نحوها فى فصاحة لسان،وحسن بيان ونصاعة حجة،ودراية منطق،وقوة الهام،وَقُدْرَة على الجدل،وتَمَكُن من وسائل الإقناع،ومعرفة وطيدة بلغات العرب،ولهجاتهم على تنائى الديار،واختلاف اللهجات ثم جاء خلفاؤه من بعده فاستنوا سنته،وانتهجوا طريقته وساروا على هديه يعون الى الدين،و يشرحون تعاليم الإسلام وينفذون العهود والوصاية للقواد والولاة والقضاة بمثل ما كان يفعل رسول الله ( ﷺ ) ولكنهم تقحموا أبواباً جديدة

كانت موصدة أيام رسول الله ( ﷺ ) فقد حدث خلاف بين المهاجرين والأنصار كاد يتسع خطره لولا حكمة " أبى بكر و عمر " كما ارتد كثير من قبائل العرب أول خلافة " ابى بكر " حيث انفتح باب الفتنة الكبرى على مصراعيه فدخلت الأمة منه الى فرقة لا جمع لها،وإلى خلاف لم يأت بعده اتفاق،والتاريخ أصدق سِجل وخير مُحَدِّث عن ذبح " عثمان " ﷺ وما كان بين العلويين والأمويين وبين هؤلاء جميعاً والخوارج الناقمين مما أدى الى حروب الجمل وصفين وأنهى عهد الخلفاء الراشدين بقتل " على – رحمه الله – سنة أربعين،وسيأتي تفصيل الخلافات أيام الأمويين .

فالخطابة فى صدر الإسلام كان عليها أن تتناول هذه الأحداث والفتن التى أتسع أُفُقِها ، وعم شأنها وشغل الناس بها ، ولولاها كل ذى مكانة مؤيداً أو معارضاً – موالياً أو معادياً – مكثراً القول فى قلب الولاة والحكام،وتنقص الخلفاء وإظهار معايبهم ، كالذى حدث فى فتنة " عثمان " ﷺ أو يجادل خصمة ، ويوهن حجته،ويأخذ عليه نواحى الرأي،ومسالك الكلام كما حدث بين علي – كرم الله وجهه – والخوارج فظهرت قوة الحوار،وشدة الجدل،ونصوع الحجة ولدد الخصومة،لذلك وجدت الخطابة لها فى هذا العصر وقوداً هائلاً اشعل جذوتها ، وأذكى نارها،وَمَدَّ فِيَاضُها فأكسبها الرقى والنمو والازدهار،وبقيت للخطابة عاداتها القديمة من اعتجار العمامة،والاشتمال بالرداء،واتخاذ المخصرة والوقوف على نشز من الأرض أو منبر وكان رسول الله ( ﷺ ) يعتمد على قوس فى الحروب،وعلى عصا فى السلم قبل أن يتخذ له المنبر،وكانوا يبدءونها بالحمد لله وتوحيده،و الثناء عليه وتعظيمه،ثم الصلاة على خاتم أنبيائه وصفوته من خلقه ولذلك لما خلت خطبة " زياد " من هذا البدء سميت بالبتراء .

وقد جروا فيها على طرفي الإيجاز والإطناب إتباعاً للدواعي فقد خطب رسول الله ( ﷺ ) من لدن صلاة العصر حتى دنت الشمس للمغيب ، كما فى رواية " أبي سعيد الخدري " .

كما ذكر أن " عمر " لما بويع وقف على المنبر فلم يزد على قوله بعد " الحمد لله، والصلاة على نبيه ، **ثم قال** : " أيها الناس ، انه والله ما فيكم أحد أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له،ولا أضعف عندى من القوى حتى آخذ الحق منه " ثم نزل .

هذا،وخطباء صدر الإسلام بعد رسول الله ( ﷺ ) لا يحصون كثرة وأعظم الخلفاء الراشدين،كثير من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين،غير أنه من المجمع عليه أن أخطب خطبائه غير مدافع ولا منازع بعد رسول الله ( ﷺ ) هو ابن عمه وزوج ابنته " على بن أبى طالب " - رحمه الله تعالى - .

# نماذج من الخطابة في هذا العصر

**لما نزل قوله تعالى** : ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الحجر:٩٤]

دعا رسول الله ( ﷺ ) قومه ، وصعد النبي - ﷺ - على الصَّفا ، فجعل يُنادي : (( يا بني فهر! يا بني عدي ! )) لبطون قريش حتى اجتمعوا ، فجعل الرَّجل إذا لم يستطع أن يَخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش **فقال**:

(( أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تُريد أن تُغيرَ عليكم أكنتم مصدقيَّ؟ )) قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقاً .

قال : (( فإنِّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد )) .

**فلما نزل قوله تعالى** : ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤]

جمعهم ( ﷺ ) فحمد الله ثم أثنى عليه فقال : " " الحمد لله أحمده وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له " .

**ثم قال**، " إن الرائد لا يكذب أهله. والله لو كذبت الناس جميعاً، ما كذبتكم ولو غررت الناس، ما غررتكم والله الذي لا إله إلا هو، إني لرسول الله إليكم خاصةً وإلى الناس كافةً، والله، لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً. وإنها للجنة أبداً. والنار أبداً. وأنتم لأول من أنذر " .

وخطب رسول الله ( ﷺ ) حين دخل مكة فبعد أن طاف بالبيت سبعاً على راحلته وأخذ مفتاح الكعبة من حاجبها " عثمان بن طلحة " وقف على باب الكعبة وجمع أهل مكة وخطب فيهم **فقال**،

((لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط أو العصا ففيه الدية مغلظةً مائة من الإبل، أربعون منها في بطونها أولادها، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب، ثم تلا قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحُجُرات:١٣]

**ثم قال،** ((يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم اليوم؟)) قالوا: خيراً، أخ كريم إبن أخ كريم، **قال:** ((اذهبوا فأنتم الطلقاء...)).

**وخطب يوماً فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه** : " أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم فإن العبد بين مخافتين أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه وأجل باقٍ لا يدري ما الله قاضٍ فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار".

وخطب " أبو بكر الصديق " ﷺ يوم السقيفة،فحمد الله وأثنى عليه،

**ثم قال ،** أيها الناس! نحن المهاجرون أول الناس إسلاماً، وأكرمهم أحساباً وأوسطهم داراً ، وأحسنهم وجوهاً، وأكثر الناس ولادةً في العرب، وأمسّهم رحماً برسول الله (أسلمنا قبلكم، وقدّمنا القرآن عليكم، **فقال تبارك وتعالى:** ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [التوبة:١٠٠]

فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار، إخواننا في الدين، وشركاؤنا في الفيء وأنصارنا على العدوّ، آويتم وواسيتم، فجزاكم الله خيراً، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء، لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش، فلا تُنفسوا على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله.

أما بعد أيها الناس، إني أوصيكم بتقوى الله العظيم في كل أمر وعَلَى كل حال، ولُزوم الحق فيما أحببتم وكَرهتم، فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير. مَن يَكْذب يَفْجر، ومَن يَفْجر يَهْلِك. وإيّاكم والفَخْرَ، وما فَخْرُ مَن خُلق من تراب وإلى التراب يَعود، هو اليوم حيٌّ غداً مَيّت. فاعمَلوا وعُدُّوا أنفسَكم في الموتى وما أَشكل عليكم فردّوا عِلْمه إلى الله، وقَدِّموا لأنفسكم خيراً تجدوه مُحْضراً، فإنه قال عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: ٣٠]

فاتّقوا الله عبادَ الله، وراقبوه واعتبروا بمَن مَضى قبلكم، واعلموا أنه لا بُدّ من لقاء ربّكم والجزاء بأعمالكم صَغيرها وكَبيرها، إلا ما غَفر الله أنه غَفور رحيم فأَنْفُسَكم أنفسكم والمُستعانُ الله، ولا حَولَ ولا قوّة إلّا بالله. إنّ الله وملائكته يصلّون على النبيّ، يأيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسْليماً. اللّهم صَلِّ على محمدٍ عَبْدِك ورسولك أفضلَ ما صلَيت على أحدٍ من خلْقك، ذكّنا بالصلاة عليه، وألحقنا به، واحشرنا في زمْرته، وأوْردْنا حوضَه. اللّهم أعِنّا عَلَى طاعتك وانصُرنا عَلَى عدوّك.

ومن أبلغ كلامه حين عهد بالخلافة إلى " عمر " ﷺ ما روي عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: دخلتُ على أبي بكر الصديق رحمة الله عليه في علّته التي مات فيها يوما، فقلت: أراك بارئا يا خليفة رسول الله. فقال: أما إني على ذلك لشديد الوجع، ولما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشدُّ عليَّ من وجعي، إني ولَّيت أموركم خيركم في نفسي، فكلّكم ورغم أنفه أن يكون له الأمر من دونه، والله لتتخذنَّ نضائد الدِّيباج، وستور الحرير، ولَتألمنَّ النوم على الصوف الأذريَّ كما يألم أحدكم النوم على حَسَك السَّعَدان، والذي نفسي بيده لئن يَقدَّم أحدكم فتُضرب عنقه في غير حدٍّ خير له من أن يخوض غَمَرات الدُّنيا، يا هادي الطريق، جُرتَ، إنَّما هو الفجر أو البحر.

**فقلت**: خفِّض عليك يا خليفة رسول الله، فإنَّ هذا يهيضك إلى ما بك، فوالله ما زلت صَالحِاً مُصلحا لا تأسى على شيء فاتك من الدنيا. ولقد تخلَّيت بالأمر وحدك فما رأيت إلا خيراً.

**ومن خطب " عثمان " ﷺ ، وقد نقم الناس عليه :**

**فقال** : " أما بعد فإن لكل شئ آفة وإن لكل نعمة عاهة وإن آفة هذه الأمة وعاهة هذه النعمة عيابون طنانون يظهرون لكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون يقولون لكم وتقولون طغام مثل النعام يتبعون أول ناعق أحب مواردهم إليهم النازح لا يشربون إلا نغصا ولا يردون إلا عسكراً لا يقوم لهم رائد وقد أعيتهم الأمور وتعذرت عليهم المكاسب .

لقد أقررتم لابن الخطاب بأكثر مما نقمتم عَلَيَّ ولكنه وطئكم برجله وضربكم بيده ووقمكم وقمعكم وزجركم زجر النعام المخزومة فدنتم له على ما أحببتم

أو كرهتم ولنت لكم وأوطأت لكم كنفى وكففت يدي ولساني عنكم فاجترأتم عَلَيَّ أما والله إني لأقرب ناصراً وأعز نفراً وأكثر عدداً وأقمن إن قلت هلم أن تجاب دعوتى من عمر ولقد أعددت لكم أقرانكم وأفضلت عليكم فضولا وكشرت لكم عن نابي وأخرجتم مني خُلُقاً لم أكن أحسنه ومنطقاً لم أنطق به فكفوا عليكم ألسنتكم وطعنكم وعيبكم على ولاتكم فإني قد كففت عنكم من لو كان هو الذي يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا،ألا فما تفقدون من حقكم فوالله ما قصرت في بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي ومن لم تكونوا تختلفون عليه فضل ، فضل من مالي فمالي لا أصنع في الفضل ما أريد إذن فلم كنت إماما " .

**ومن خطبه فى الوعظ :**

" إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يعطكموها لتركنوا إليها، إن الدنيا تفنى وإن الآخرة تبقى، ولا تبطرنكم الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية.. واحذروا من الله الغِيَر، والزموا جماعتكم، ولا تصيروا أحزابا ، ثم قرأ قوله تعالى:

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وخطب"على بن أبى طالب " لما أريد على البيعة بعد قتل " عثمان "-رحمه الله – **فقال** : " دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول،وإن الآفاق قد أغامت،والمحجة قد تنكرت، واعلموا أني إن أحببتكم رغبت لكم ما أعلم،ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب،

وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً ".

ومن خطبه كرم الله وجهه حين استنفر أهل الكوفة لجرب الجمل،**قال** :

" فإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله إلى الثقلين كافةً ، والناس في اختلاف والعرب بَشرِّ المنازل ، مستضعفون لما بهم ، فرأب الله به الثأي ، ولام به الصدع ، ورتق به الفتق ، وأمن به السبيل ، وحقن به الدماء ، وقطع به العداوة الموغرة للقلوب ، والضغائن المشحنة للصدور ، ثم قبضه الله تعالى مشكوراً سعيه مرضياً عمله ، مغفوراً ذنبه ، كريماً عند الله نَزَلَهُ . فيا لها من مصيبةً عمت المسلمين وخصت الأقربين ، وولي أبو بكر فسار فينا بسيرة رضا ، رَضِيَّ بها المسلمون .

ثم ولي عمر فسار بسيرة أبي بكر رضي الله عنهما . ثم ولي عثمان فنال منكم ونلتم منه .

ثم كان من أمره ما كان ، أتيتموه فقتلتموه ، ثم أتيتموني فقلتم : لو بايعتنا ؟ فقلت : لا أفعل ، وقبضت يدي فبسطتموها ، ونازعتكم كفي فجذبتموها وقلتم : لا نرضى إلا بك ، ولا نجتمع إلا عليك ، وتراكمتم على تراكم الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها ، حتى ظننت أنكم قاتلي وأن بعضكم قاتل بعضاً ، فبايعتموني ، وبايعني طلحة والزبير، ثم ما لبثا أن أستأذناني إلى العمرة .

فسارا إلى البصرة فقاتلا بها المسلمين ، وفعلا بها الأفاعيل ، وهما يعلمان والله أني لست بدون من مضى ، ولو أشاء أن أقول لقلت : اللهم إنهما قطعا قرابتي، ونكثا بيعتي ، وألبا على عدوي . اللهم فلا تحكم لهما ما أبرما . وأرهما المساءة فيما عملا وأمّلا" .

# الكتابة

إن من أقوى وسائل الحضارة والتمدن ، والرقى والتقدم فى جميع المجالات وأساس حاجيات الملوك والسلاطين والأمراء هى " الكتابة " . فكلما تعددت مناحى الحضارة ، واتسعت مناهج الفكر كانت الحاجة ماسة وملحة إلى " فن الكتابة " ويُعنى بالكتابة هنا هى التى لا تمتاز عن أسلوب المشافهة ، لأنها امتداد للحديث العادى ، وليست فناً ذا ملكة خاصة ، أما الكتابة التى يتأنق فيها كاتبها ، ويحاول تحسينها ، وصيغها بالصيغة الفنية ذات الصناعة اللفظية يكون خاضعاً فى الغالب لأصول وتقاليد مرسومة ، هذا اللون من الكتابة لا يوجد إلا على يد الكُتّاب فى القرنين ( الأول والثانى ) مثل " عبد الحميد الكاتب ، وابن المقفع " .

ولم يسمح العهد الجاهلى بالكتابة ، حيث كان عصر سذاجة وبداوة بيد أنه لما جاء الإسلام وحثّ على العلم والتعليم وكان أول آيات القرآن نزولاً " اقرأ باسم ربك الذى خلق " فهيأ الإسلام المسلمين للثقافة والتهذيب ، والفتح والجهاد والولاية على الأرض وذلك لنشر الإسلام بين الشعوب والأمم .

هذا الأمر جعل الكتابة أساساً لتلك النهضة العظيمة التى أتاحها الله للمسلمين ، وذلك ما وضع رسول الله ( ﷺ ) دعامته الأولى منذ بعثة سيدنا محمد ( ﷺ )، فقد أدرج ابن عمه سيدنا " على بن أبى طالب – رضى الله عنه – منذ طفولته على تعلم القراءة والكتابة ، وكذلك أخذ أخاه " جعفر بن أبى طالب " وكانت تلك خطته فى أسرته وعشيرته وقد امتن سيدنا محمد ( ﷺ ) على كل من يحسن القراءة والكتابة من أصحابه فجعلهم كُتّاب وحيه ، وهذا هو أسمى ما يطمح إليه إنسان يؤمن بالله ورسوله .

وقد راسل محمد ( ﷺ ) الملوك والأمراء يخبرهم برسالته ، ويدعوهم إلى اعتناق دينه والإيمان بالله – عز وجل – وحده لا شريك له ، واستخدم فى تدوين هذه الرسائل عليه السلام – كثرة كاثرة من كتابه الذين تعلموا القراءة والكتابة كما كتبوا له عهود الصلح التى عقدت بينه وبين قريش وغيرهم كثير ممن دخل الإسلام .

وقد عمل رسول الله ( ﷺ ) على تعميم الكتابة ، ففرض على أسَارى غزوة بدر الكبرى ، والذين كانوا يجيدون القراءة والكتابة أن يفدى نفسه بتعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة ، فكان ذلك فتحاً مبيناً للعلم ، ولم يلحق النبى ( ﷺ ) بالرفيق الأعلى حتى أناف الكتاب على " خمسمائة " من الذين يجيدون القراءة والكتابة بين فتى وفتاة ورجل وامرأة وكان كُتَّابه( ﷺ ) على نوعين :

**النوع الأول : كُتّاب وحى لرسول الله ( ﷺ ) .**

**النوع الثانى : كتّاب أعمال .**

ومن كُتّاب الأعمال كما يرويه لنا " القضاعى " فى كتابه " عيون المعارف " " الزبير بن العوام ، وجهم بن الصلت " وحذيفة بن اليمان " وكانوا يكتبون الصدقات والمغيرة بن شعبة والحصين بن نمير " وكانا يكتبان التداين والمعاملات .

وقد سار خلفاء النبى ( ﷺ ) فى نشر الكتابة واستخدام الكُتّابِ فى رسائلهم إلى القادة والعمال ، وفى وصاياهم إلى قضائهم ، وكذلك فى مصالحتهم فى أهل البلاد المفتوحة وعامةً المسلمين .

وقد بقيت الكتابة من عمل النبى ( ﷺ ) وأصحابه من بعده ينشئون بِمَلِكَتِهم فيكتبون بأيديهم أو يُمْلُّونَ غيرهم إن لم يكونوا كاتبين .

ولهذا لم توجد طائفة خاصة تدعى " طائفة الكتابة " كما صارت إلى الحال فيما بعد .

# ميزات الكتابة

ومن ميزات الكتابة فى هذا العصر ، وهى طابعها السهل ، وبعدها عن التكلف مع ميلها إلى الإيجاز ، وقصدها إلى الغرض المطلوب وخلوها من عبارات التفخيم ، فما عرفوا ضمير الجمع إلا له فيقولون" أنا وأنت "واحتذاؤها حذوا القرآن الكريم وذلك فى الجزالة والقوة وامتداد الجمل ، ورسوخها فى الفصاحة ولم يكن يميزها عن أسلوب المشافهة إلا ابتداؤها **بقولهم** :

" من عبد الله " فلان " أمير المؤمنين إلى " فلان بن فلان " أما بعد فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله ، الذى لا إله إلا هو أو هذا ما عاهد به أمير المؤمنين ، أو هذا ما أوصى به أمير المؤمنين ، أو هذا ما صالح به أمير المؤمنين ، كما كان الوالى أو القائد إذا كتب إلى الخليفة قدم اسم الخليفة **فيقول مثلاً** .

" من سعد بن أبى وقاص"إلى أمير المؤمنين"عمر"، **وقد يقول**:" إلى أمير المؤمنين من فلان " .

وكانت الكتابة ترمى إلى الغرض دون إمالة أو تكلف بعيدةً عن فضول الكلام حتى لقد كان الكتّـاب فى بعض الأحيان يكتبون سطراً واحداً كما كتب " عمر بن الخطاب " – رضى الله عنه – إلى " عمرو بن العاص " :

" من أمير المؤمنين " عمر بن الخطاب"إلى " عمرو بن العاص " أما بعد " فما تبالى يا عمروا إذا شبعت أنت ومن معك أن أُهْلَكَ أنا ومن معى فوا غوثاه ثم واغوثاه " :

**فأجابه عمرو** : " إلى أمير المؤمنين " عمر بن الخطاب " من " عمرو بن العاص":

سلام عليك ( أما بعد )فقد أرسلت إليك بعيراً أولها عندك وآخرها عندى والسلام " .

وربما وقف الكتاب عند جملة واحدة ، كما كتب " خالد بن الوليد " إلى " عياض بن غنم " حين استنجده وهو محاصر بدومة الجندل : " إياك أريد " ولعل هذا أوجز كتاب فى الأدب العربى .

هذا ما يتعلق بالكتابة فى عهد رسول الله ( ﷺ ) وخلفائه الراشدين ، ومنه يعلم أن الكتابة كانت كتابة رسائل فحسب ، ومع ذلك لم تصطبغ بصيغة ذات صناعة لأن العهد كان قريباً من البداوة .

أما كتابة الدواوين فكانت تؤدى بلغة أهل المصر ، وهى القادسية فى " فارس ، والعراق ، والرومية بالشام ، والقبطية فى مصر " إلى أن كان تعريب الدواوين على عهد " عبد الملك بن مروان " ، كما سيجئ تفصيل ذلك .

# نماذج من كتابة هذا العصر

## ١- كتب رسول الله ( ﷺ ) إلى ملك الفرس ( كسرى أبرويز ) :

" بسم الله الرحمن الرحيم – من محمد رسول الله إلى " كسرى " عظيم " فارس " سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله وأدعوك بدعاية الله – عز وجل – فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . أسلم تسلم فإن توليت فإن إثم المجوس عليك " .

## ٢- وكتب إلى ملك الروم :

" بسم الله الرحمن الرحيم – من محمد رسول الله إلى " هِرَقْل " عظيم " الروم " سلام على من اتبع الهدى ( أما بعد ) فإني أدعوك بدعاية الإسلام – أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين[1] ويأهل الكتاب تعالوا إلى كلمةٍ سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون " .

## ٣- وكتب إلى " المقوقس " عظيم القبط بـ " مصر " :

" بسم الله الرحمن الرحيم – من محمد رسول الله( ﷺ )إلى" المقوقس " عظيم القبط . سلام على من اتبع الهدى ( أما بعد ) فإني أدعوك بدعاية الإسلام فاسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم القبط ويأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضاً بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون " .

---

١ - قيل : هم الخدم والحول لصبيره إياهم عن الدين ، وقيل : هم عبدة النار فجعل عليه إثمهم .

**٤- وكتب إلى " النجاشى " ملك الحبشة :**

" بسم الله الرحمن الرحيم – من محمد رسول الله ( ﷺ )إلى " النجاشى " ملك الحبشة – إنى أحمد إليك[١]الله الملك القدوس[٢]السلام ، المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم البتول[٣]الطيبة الحصينة . حملته من روحه ونفخه كما خلق " آدم " بيده وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى فإنى رسول الله ( ﷺ ) وإنى أدعوك وجنودك إلى الله – عز وجل – وقد بلَّغت ونصحت فاقبلوا نصيحتى ، وقد بعثت إليكم ابن عمى " جعفراً " ومعه نفر من المسلمين ، والسلام على من اتبع الهدى " .

**٥- ولما ادعى"مُسَيّلَمَة"النبوة، وكتب إلى النبى محمد ( ﷺ )**

"من مسيلمة رسول الله سلام عليك( أما بعد) فإنى قد أُشْرِكْتُ فى الأمر معك وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها – ولكن قريشاً قوم يعتدون " .

**كتب إليه ( ﷺ ) :**

" بسم الله الرحمن الرحيم – من محمد رسول الله ( ﷺ ) إلى " مسيلمة الكذاب " – السلام على من اتبع الهدى ( أما بعد ) فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين " .

**٦- وعهد " أبو بكر الصديق " – إلى " عمر " بالخلافة عند موته فقال** :" بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد به " أبو بكر " خليفة محمد رسوله ( ﷺ ) عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة فى الحال التى يؤمن فيها

---

١ - أى أحمد الله معك أو أحمد الله حمداً أشهدك عليه أو أوجهه إليك فى مقابلتك .
٢ - تقدس الله : تنزه وهو القدوس .
٣ - العابدة المنقطعة للعبادة .

الكافر، ويتقى الفاجر إنى استعملت عليكم " عمر بن الخطاب " فإن بَرَّ وعدل فذلك علمى به ، ورأيى فيه ، وإن جارَ وبَدَّلَ فلا علم لى بالغيب والخير أردت ، ولكل امرئ ما اكتسب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون " .

**٧- ومن وصاياهم إلى أولياء عهودهم وصية " أبى بكر الصديق " لـ " عمر " رضى الله عنهما :-**

" إنى مستخلفك من بعدى وموصيك بتقوى الله ، إن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم ، وحُقَّ لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم فإذا ذكرتهم قلت إنى أخاف ألا أكون من هؤلاء ، وذكر أهل النار، فذكرهم بأسوأ أعمالهم ولم يذكر حسناتهم فإذا ذكرتهم قلت إنى لأرجو ألا أكون من هؤلاء ، وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغباً راهباً ، ولا يتمنى على الله غير الحق ، ولا يلقى بيده إلى التهلكة فإذا حفظت وصيتى هذه فلا يكن غائب أحبَّ إليك من الموت وهو آتيك ، وإن صدقت وصيتى فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجز الله " .

**٨- ومن إرشادهم لقضاتهم كتاب " عمر " إلى " أبى موسى الأشعرى " وقد ولاه القضاء :**

" بسم الله الرحمن الرحيم ، من " عبد الله عمر " أمير المؤمنين إلى " أبى موسى الأشعري " سلام عليك ( أما بعد ) فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة فافهم إذا أدلى إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له . آسِ بين الناس

فى وجهك وعدلك ، ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحلَّ حراماً أو حرم حلالاً . لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل . الفهم الفهم فيما يتلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة ، ثم اعرف الأشباه والأمثال فَقِس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله وأشبهها بالحق ، واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينةً أمراً ينتهى إليه ، فإن أحضر بينة وإلا استحللت عليه القضية فإنه أتقى للشك ، وأجلى للعمى والمسلمون عُدُول بعضهم على بعض إلى مجلوداً فى حد مجر أو مجرباً عليه شهادة زور أو ضغيناً ، فى ولاء أو نسب فإن الله تولى منكم السرائر ودرأ بالبينات والإيمان إياك والغَلَق ، والضجر والتأذى بالخصوم ، والتنكر عند الخصومات ، فإن الحق فى مواطن الحق يعظم الله به الأجر ، ويحسن الزخر ، فمن صمَّت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله ، فما ظنك بثواب الله فى عاجل رزقه ، وخزائن رحمته والسلام " .

### ٩- ومن مصالحتهم لأهل البلاد المفتوحة ما كتبه " عمر " إلى أهل " إيلياء " " بيت المقدس " :-

" بسم الله الرحمن الرحيم " : هذا ما أُعْطَى " عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل "إيلياء" من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر مِلّتها أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم ولا يُنقص منها ولا من

حيّزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شئ من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ، ولا يُضار أحد منهم ، ولا يسكن " إيلياء " معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل " إيلياء " أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل" إيلياء "من الجزية ، ومن أحبّ من أهل " إيلياء " أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم ، وصلبانهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبانهم حتى يبلغوا مأمنهم " .

**١٠- ومن رسائلهم إلى أمراء الأمصار ما كتبه " عثمان " – رضى الله عنه – إلى عماله حين ولى الخلافة :-**

( أما بعد ) فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا دُعاة ولم يتقدم إليهم أم يكونوا جياة وإن صَدْرَ هذه الأمة خلقوا جياة – وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جياةً ولا يصيروا دارةً فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء . ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا فى أمور المسلمين وفيما عليهم فتعطوهم مالهم وتأخذوهم بما عليهم ، ثم تعتنوا بالذمة فتعطوهم الذى لهم وتأخذوهم بالذى عليهم . ثم العدو تنتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء " .

**١١- ومن مناشير إلى عامة المسلمين ما كتبه " عثمان " :**

" أما بعد فإنما بلغتم ما بلغتم بالاقتداء ، والاتباع فلا تلفتكم الدنيا عن أمركم فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم : تكامل النعم ، وبلوغ أولاد السَّبايا ، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن ، فإن رسول الله ( ﷺ ) **قال** : الكفر فى العجمة فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا " .

١٢- وكتب " علىّ " إلى " معاوية " بعد وقعة الجمل :-

" سلام عليك ( أما بعد ) : فإن بيعتى بالمدينة لزمتك وأنت بالشام لأنه بايعنى الذين بايعوا " أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى " ما بايعوا عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد . وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإذا اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك رضاً ، وإن خرج عن أمرهم خارج ردوه إلى ما خرج عنه ، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً ، وإن " طلحة والزبير " بايعانى ثم نقضا بيعتهما وكان نقضهما كردهما فجاهدتهما بعدما أعذرت إليهما حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ، فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، أحبّ الأمور إلى قبولك العافية وقد أكثرت فى قتلة " عثمان " فإن أنت رجعت عن رأيك وخلافك ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكمت القوم إلىَّ حملتك وإيَّاهم على كتاب الله .

وأما تلك التى تريدها فهى خدعة الصبى عن اللَّبن والعُمْرِيّ لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى أبرأ قريش من دم " عثمان " واعلم أنك من الطُلَقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا يدخلون فى الشورى وقد بعثت إليك من قبلك"جرير بن عبد الله "وهو من أهل الإيمان والهجرة ، فبايعه ، ولا قوة إلى بالله " .

١٣- فكان جواب " معاوية " على هذه الرسالة :-

" من " معاوية بن صخر " إلى " على بن أبى طالب " ( أما بعد ) : فلعمرى لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت برئ من دم " عثمان " كنت " كأبى بكر وعمر وعثمان " رضى الله عنهم أجمعين ولكن أغربت " بعثمان " المهاجرين ، وخذلك عنه الأنصار فأطاعك الجاهل ، وقوى بك الضعيف ، وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى

تدفع إليهم قتلة " عثمان " فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين ولعمرى ما حجتك علىّ كحجتك على " طلحة والزبير " لأنهما بايعاك ، ولم أبايعك ، وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل العراق لأن أهل العراق أطاعوك ولم يُطعك أهل الشام ، وأما شرفك فى الإسلام وقرابتك من رسول الله ( ﷺ ) وموضعك من قريش فلست أدفعه" .

وقد رد عليه " على بن أبى طالب " كرّم الله وجهه ، واستمرت المكاتبات بينهما طويلاً حتى كانت الحرب ، فلنقف عند هذا القدر ، ونكتف بما ذكرناه من نماذج لضيق المقام .

# النثر العلمى

أمـا النثـر العلمـى الـذى يقصـد بـه التهـذيب العقلـى والتـأليف والتصـنيف فـالمعقول أن العصـر الجـاهلى والإسـلامى لم يظفـروا منـه بشئ ، إذ أن ذاك يستتبع حيـاة علميـة ناضـجة ، واسـتقراراً هادئـاً ، ولم يتـوافر شئ مـن ذلـك إلا قليلاً نـادراً فى بعض مدن الحجاز، ولكن انعدام الكتابة وغلبة العمل الاقتصادى قد حـالا دون بحث أو تقرير علمى .

ولمـا ظهـر الإسـلام شـغل العـرب الفتـوح ونشـر الـدين أولاً ، وبـالفتن الداخليـة ثـانياً مدة القرن الأول ، وكانت الخطابة والشعر والكتابة تساير ذلك كلـه ، فانقضى ذلك العهد دون أن يدون كتـاب ، إلا مـا كـان مـن أمر القرآن فـى إثباتـه علـى الرقـاع ونحوهـا مـدة " أبـى بكـر " وفـى المصـاحف علـى عهـد " عثمـان " وكـان اعتمـاد القـوم فى دينهم ودنيـاهم على كتـاب الله ، وسـنة رسـوله ، وحين الاشـتباه يكـون مـرجعهم إلى الخلفـاء والفقهـاء ، والاجتهـاد ، حتـى أقـوال النبـى ( ﷺ ) وفتـاوى صـحابته لم يدونوها " اللهم إلا ما سبق من موقف " عبد الله بن عمرو بن العاص " مخافـة أن ينتهى بهم التـدوين إلى إهمـال الحفـظ ، والاعتمـاد على الكِتَـاب المعرض للضيـاع والتصحيف والتحريف ، وفى كل ذلك من الأضرار مـا كـانوا يَحْذَرون ، ولـولا اشتداد الخـلاف بـين القـراء فـى الأمصـار ، مـا أقـدم " عثمـان " رضـى الله عنـه علـى نسـخ القرآن .

ولمـا دخل الأجانـب فـى الإسـلام ولهـم عراقـة ورسـوخ فـى العلـوم والحضـارات أخـذ المسـلمون فـى الـتفكير والإنتـاج العلمـى والتـأليف والتصـنيف نشـأت الكتابـة العلميـة منـذ أواخـر العصـر الأمـوى ، وظهـرت بشـكل واسـع ومـنظم فـى العصـر

العباسى، وجملة القول أن الحياة الإسلامية وجد فيها فنون من النثر الأدبى دون النثر العلمى ، ذلك النثر الفنى الذى علت منزلته ، وارتفعت قيمته ، لأنه أسلوب الدعوة الدينية وأداة الهداية التشريعية ، ووسيلة البيان للأصول والأحكام بألفاظ عربية فصيحة ، سمحة عذبة لا تُكِدُّ الألسنة ولا تنبو عن الأفئدة ، ولا تقول على الأسماع مجانبة لكل وحشى غريب ، أو متنافر ثقيل تأثراً بفصاحة القرآن وفصاحة النبى ( ﷺ ) .

# خطبة أبى بكر

" إن الله تبارك وتعالى لا تحصى نعمه ، ولا تبلغ جزاءها الأعمال ، فله الحمد كثيراً على ما اصطنع عندكم فقد جمع كلمتكم ،أصلح ذات بينكم وهداكم إلى الإسلام ، ونفى عنكم الشيطان ، فليس يطمع أن تشركوا بالله ، ولا أن تتخذوا إلهاً غيره ، فالعرب اليوم بنو أم وأب وقد أروق أن استنفرهم إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين ، ويجعل الله كلمته العليا ، مع أن للمسلمين فى ذلك الحظ الأوفر ، فمن هلك منهم هلك شهيداً وما عند الله خير للأبرار ، ومن عاش منهم عاش مدافعاً عن الدين ، مستوجباً على الله عزوجل ثواب المجاهدين ، هذا رأيى الذى رأيت فليشر علىّ امرؤ بمبلغ رأيه.

ثم إن أبا بكر – رحمة الله عليه ورضوانه – قام فى الناس فحمد الله وأثنى عليه ، وذكره بما هو أهله ، وصلى على النبى ﷺ – ثم قال :-

يا أيها الناس ، إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام ، وأعزكم بالجهاد ، وفضلكم بهذا الدين على أهل كل دين ، فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام ، فإنى مؤمر عليكم أمراء وعاقد لهم ألوية ، فأطيعوا ربكم ، ولا تخالفوا أمراءكم ، ولتحسن نيتكم وسيرتكم وطعمتكم ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون " .

## خطبته بعد البيعة

**حمد الله وأثنى عليه . ثم قال :-**

" أيها الناس: إنى قد ولّيت عليكم ولست بخيركم ، لإن رأيتمونى على حق فأعينونى ، وإن رأيتمونى على باطل فسددونى ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإذا عصيته فلا طاعة لى عليكم ، ألا إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه. أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ".

## خطبة له فى الأنصار

ووصل إليه مال من البحرين فساوى فيه بين الناس فغضبت الأنصار ، وقالوا له فضلنا ، فقال " أبو بكر " صدقتم ، إن أردتم أن أفضلكم صار ما عملتموه للدنيا وإن صبرتم كان ذلك لله – عز وجل – فقالوا : والله ما عملنا إلا لله تعالى وانصرفوا فَرَقَى " أبو بكر " المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ( ﷺ ) **ثم قال ،**

" **يا معشر الأنصار** : إن شئتم أن تقولوا إنا آويناكم فى ظلالنا ، وشاطرناكم فى أموالنا ، ونصرناكم بأنفسنا قلتم : إن لكم من الفضل ما لا يحصيه العدد وإن طال به الأمد . **فنحن وأنتم كما قال " طفيل الغنوى "** :

جزى الله عنا جعفراً حين أزلقنى ... بنا نعلنا فى الواطئين فزلـت

أبوا أن يملونا ولو أن أمنـــا ... تلاقى الذى يلقــون منــا لملــت

هم أسـكنونا فـى ظــلال بيــوتهم ... ظلال بيــوت أدفــأت وأظلــت

# خطبة عمر

**فقام عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى (ﷺ) ثم قال :**

" الحمد لله الذى يخص بالخير ما يشاء من خلقه ، والله ما استبقنا إلى شئ من الخير قط إلا سبقتنا إليه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، قد والله أروق لقاءك لهذا الرأى الذى ذكرت فيما قضى الله أن يكون ذلك حتى ذكرته الآن فقد أصبت ، أصاب الله بك سبل الرشاد ، وسرّب إليهم الخيل فى إثر الخيل ، وابعث الرجال تتبعها الرجال والجنود تتبعها الجنود ، فإن الله – عز وجل – ناصر دينه ومعز الإسلام وأهله ، ومنجز ما وعد رسوله .

وخطب أيضاً ، فقال بعدما حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبى( ﷺ ) :-

" أيها الناس،إن بعض الطمع فقر، وإن بعض اليأس غنى وإنكم تجمعون ما لا تأكلون ، وتأملون ما لا تدركون ، وأنتم مؤجلون فى دار غرور، كنتم على عهد رسول الله ( ﷺ ) تؤخذون بالوحى ، فمن أسرّ شيئاً أخذ بسريرته ، ومن أعلن شيئاً أخذ بعلانيته ، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم والله أعلم بالسرائر فإن من أظهر لنا قبيحاً وزعم أن سريرته حسنة لم نصدقه ، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسناً واعلموا أن بعض الشُّحِّ شعبة من النفاق ، فأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، أيها الناس أطيبوا مثواكم ، وأصلحوا أموركم واتقوا الله ربكم ، ولا تلبسوا نساءكم القباطىّ فإنه إن لم يشف فإنه يصف أيها الناس ، إنى لوددت أن أنجو كفافاً لا لى ولا علىّ ، وإنى لأرجو إن عمرت فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله ، وأن يبقى أحد من المسلمين وإن

كان فى بيته إلا أتاه حقه ونصيبه من مال الله وإن لم يعمل إليه نفسه ، ولم ينصب إليه بدنه ، وأصلحوا أموالكم التى رزقكم الله ، والقليل فى رفق خير من كثير فى عنف ، والقتل حتف من الحتوف يصيب البَرَّ والفاجر ، والشهيد من احتسب نفسه وإذا أراد أحدكم بعيداً فليعمد إلى الطويل العظيم فليضربه به بعضاً فإن وجده جديد الفؤاد فليشتره " .

**وخطب أيضاً فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :**

" أيها الناس : من أراد أن يسأل عن القرآن ، فليأت " أُبَىّ بن كعب "، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت " زيد بن ثابت " ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت "معاذ بن جبل"، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتنى ، فإن الله جعلنى له خازناً وقاسماً ، إنى بادئ بأزواج رسول الله ( ﷺ ) فمعطهن ثم المهاجرين الأولين الذين أُخرجوا من ديارهم وأموالهم أنا وأصحابى ، ثم بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ، ثم من أسرع إلى الهجرة أسرع إليه العطاء ، ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء ، فلا يلومن رجل إلا مناخ راحلته ، إنى قد بقيت فيكم بعد صاحبى فابتليت بكم وابتليتم بى ، وإنى لن يحضرنى من أموركم شئ فَأَكِلَهُ إلى غير أهل الجزاء والأمانة ، فلئن أحسنوا لأحُسنن إليهم ولئن أساءوا لأنكلنّ بهم " .

# خطبة على بن أبى طالب

" الحمد لله الذى بعث محمداً مِنّا نبياً ، وبعثه إلينا رسولاً فنحن بيت النبوة ومعدن الحكمة ، وأمان أهل الأرض ، ونجاة لمن طلب ، ولنا حق أن نعطه نأخذه وإن نُمنعه نركب أَعْجَاز الإبل ، ولو طال السُّرَى ، لو عهد إلينا رسول الله ( ﷺ ) عهداً لأنفذنا عهده ولو قال لنا قولاً لجادلنا عليه حتى نموت ، لن يسرع أحد قبلى إلى دعوة الحق ، وصلة رحم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . اسمعوا كلامى ، وَعُوا منطقى عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا المجمع تنتضى فيه السيوف ، وتخان فيه العهود ، حتى تكونوا جماعة ، ويكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة ، وشيعةً لأهل الجهالة ، **ثم أنشا يقول :**

فإن تك جاسم هلكت فإنى بما فعلت بنو عبدين ضخم
مطيع فى الهواجر كلّ عىٍّ بصير بالنوى من كل نجم

# خطبة لعلى

وخطب " علىّ " لما سار " الزبير وطلحة " من مكة ومعهما " عائشة " يريدون " البصرة " فقال :-

" أيها الناس إن " عائشة " سارت إلى " البصرة "، ومعها " طلحة والزبير " وكل منهما يرى الأمر له دون صاحبة ، أما " طلحة " فابن عمها ، وأما " الزبير " فختنها ، والله لو ظفروا بما أرادوا – ولن ينالوا ذلك أبداً – ليضربن أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد ، والله إن راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبةً ولا تحل عقدً إلا فى معصية الله وسخطه حتى تورد نفسها ومن معها موارد الهلكة إى والله ليقتلن ثلثهم ، وليهربن ثلثهم ، وليتوبن ثلثهم ، وإنها التى تنجها كلاب الحوأب ، وإنهما ليعلمان أنهما مخطئان ، ورُبَّ عالم قتله جهله ، ومعه علمه لا ينفعه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، فقد قامت الفتنة فيها الفئة الباغية أين المحتسبون ؟ أين المؤمنون ؟ مالى ولقريش ! أما والله لقد قتلتهم كافرين ولأقتلنهم مفتونين ، ومالنا إلى عائشة من ذنب إلا أننا أدخلناها فى حيّزنا ، والله لأبقرن الباطل حتى يظهر الحق من خاصرته ، فقل لقريش فلتضجّ ضجيجها ، ثم نزل .

# خطبة على بن أبى طالب

فلما رجع " القعقاع " من عند أم المؤمنين ، وطلحة والزبير ، جمع الإمام عَلِيّ الناس ، ثم قام على الغرائر ، فَحَمِد الله - عز وجل - وصلى على النبى ( ﷺ ) وذكر الجاهلية وشقاها ، والإسلام والسعادة ، وإنعام الله على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله ( ﷺ ) ثم الذى يليه ، ثم الذى يليه ، ثم حدث هذا الحدث ، الذى جرّه على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا ، حسدوا من أفاءها الله عليه على الفضيلة ، وأرادوا رد الأشياء على أدبارها ، والله بالغ أمره ، ومصيب ما أراد إنى راحل غداً فارتحلوا ، ألا ولا يرتحلن غداً أحد أعان على " عثمان " - رضى الله عنه - بشئ فى شئ من أمور الناس ، وليغن السفهاء عنى أنفسهم .

# خطبة الأحنف بن قيس
# بين يدى عمر بن الخطاب

قَدِمَ الأحنف بن قيس التميمى على عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فى أهل البصرة وأهل الكوفة، فتكلموا عنده فى أنفسهم وما ينوب كل واحد منهم وتكلم الأحنف فقال:

" **يا أمير المؤمنين:** إن مفاتيح الخير بيد الله، وقد أتتك وفود أهل العراق وإن إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الأمم الخالية، والملوك الجبابرة، ومنازل كسرى وقيصر وبنو الأصفر، فهم من المياه العذبة والجنان المخصبة فى مثل حولاء السَّلى، وحدقة البعير الغاسقة، تأتيهم ثمارهم غضةً قبل أن تتغير، وإنا معشر أهل البصرة نزلنا أرضاً سبخة هشاشة، زعقة نشاشة طرف فى مقلاة، وطرف فى ملح أجاج، جانب منها منابت القصب، وجانب سبخة نشاشة لا يجف ترابها، ولا ينبت مرعاها، تأتينا منافعها فى مثل مرئ النعامة، يخرج الرجل الضعيف منا يستعذب الماء من فرسخين وتخرج المرأة بمثل ذلك ترنق ولدها ترنيق العنز تخاف عليه العدو والسبع، دارنا نعمة، ووظيفتنا ضيقة، وعددنا كثير وأطرافنا قليل وأهل البلاء فينا كثير، ودرهمنا كبير، وفقيرنا صغير، وقد وسع الله علينا وزادنا فى أرضنا، فوسع علينا يا أمير المؤمنين، وزدنا وظيفة توظف علينا ونعيش بها، فإلا ترفع خيستنا[1]، وتنعش ركيستنا[2]، وتجبر فاقتنا وتزد فى عيالنا عيالاً، وفى رجالنا رجالاً، وتُصَفِر[3] درهمنا، وتكبر فقيدنا وتأمر لنا بحفر نهر نستعذب به الماء، هلكنا ".

**قال عمر:** هذا والله السيد، هذا والله السيد، قال الأحنف: فما زلت أسمعها بعدها.

---

١ - رفت من خسيسته: فعلت به فعلا فيه رفعته.
٢ - الركس: قلب أول الشئ على آخره. وارتكس: انتكس ووقع.
٣ - صفرة: صبغه بصفرة، أى تبدلنا بالدرهم الأبيض ديناراً أصفر، وتجعل فضتنا ذهباً.

## خطبة الأحنف بن قيس

**فقام الأحنف فقال :**

" **يا أمير المؤمنين** : إن مفاتيح الخير بيد الله ، والحرص قائد الحرمان فاتق الله فيما لا يغنى عنك يوم القيامة قيلاً ولا قالاً ، واجعل بينك وبين رعيتك من العدل والإنصاف شيئاً يكفيك وفادة الوفود ، واستماحة المتاح ، فإن كل امرئ يجمع فى وعائه إلى الأقل ممن عسى أن تقتحم الأعين فلا يوفد إليك ".

## خطبة عمرو بن معد كرب الزبيرى

**ثم قام عمر بن معد يكرب الزبيرى فقال :-**

" **إنما المرء بأصغريه** : قلبه ولسانه ، فبلاغ المنطق الصواب وملاك النجعة الارتياد ، وعفو الرأى خير من استكراه الفكرة ، وتوقيف الخبرة خير من اعتساف الحيرة فاجتبذ طاعتنا بلفظك واكتظم بادرتنا وألن لنا كنفك يسلس لك قيادنا فإنا أناس لم يوقس صفاتنا قراع مناقير . من أراد لنا قضماً ولكن منعنا حمانا من كل من رَآم لنا هضماً " .

## خطبة قيس بن ساعدة الإيادى

خطب خطبة قيس بن ساعدة الإيادى بسوق عكاظ . فقال :

"**أيها الناس** : اسمعوا واعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آتٍ آت ، ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، وجبال مراسة وأرض مدحاة ، وأنهار مجراة . إن فى السماء لخبرا ، وإن فى الأرض لعبرا ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا فأقاموا أم تركوا فناموا ؟ يقسم قُسّ بالله قسماً لا إثم فيه : إن الله ديناً هو أرضى له ، وأفضل من دينكم الذى أنتم عليه إنكم لتأتون من الأمر منكراً . **ويروى أن قساً أنشا بعد ذلك يقول** :

| | |
|---|---|
| فى الذاهبين الأوليين | من القرون لنا بصائر |
| لما رأيت مواردا | للموت ليس لأمصار |
| ورأيت قومى نحوها | تمضى الأكابر والأصاغر |
| لا يرجع الماضى إلى | ولا من الباقين غاير |
| أيقنت أنى لا محا | لة حيث صار القوم صائر |

## خطبة قُسّ بن ساعدة عند قيصر

وكان قُسّ بن ساعدة يفد على قيصر ويزوره ، فقال له قيصر يوماً : ما أفضل العقل ؟ قال : معرفة المرء بنفسه ، قال : فما أفضل العلم ؟ قال : وقوف المرء عند علمه . قال : فما أفضل المروءة ؟ قال : استبقاء الرجل ماء وجهه . قال : فما أفضل المال ؟ قال : ما قُضى به الحقوق .

## الوصايا

**الوصية هى** :" قول حكيم مجرب للأمور، قد خبر الدنيا ، وسبر أغوارها وذلك ليفيد منها من يجئ بعده وتكون نبراساً له يضئ أمامه الطريق اللاحب ليجتاز العقبات ويتفادى الأزمات ، وينجو بنفسه من المهلكات .

**وتقول معاجم اللغة** : وصى ، أوصى الرجل ووصاه : عهد إليه .

**قال رؤبة** : " وصّانى العجاج فيما وصّنى.

أراد فيما وصانى ، فحذف اللام للقافية ، وأوصيت له بشئ وأوصيت إليه إذا جعلته وصيَّك . وأوصيته ووصيته إيصاءً وتوصيةً بمعنى . وتواصى القوم أى أوصى بعضهم بعضاً .

**وفى الحـــديث** :" استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان ، والإسم الوصاة والوَصاية والوِصاية والوصية أيضاً : ما أوصيت به .

**والوصى** : الذى يوصِى والذى يوصَى له وهو من الأضداد ، ابن سيده:

الوصى الموصِى الموصَى ، والأنثى وَصِىّ ، وجمعهما جميعاً أوصياء ، ومن العرب من لا يثنى الوصى ولا يجمعه اللَّيث : الوصاة كالوصية وأنشد :

ألا مَــنْ مبلــغ عنــى يزيــدا وصاة مــن أخــى ثقــة ودود

**يقال ، وصى بين الوَصايا والوصية ،** ما أوصيت به ، وسميت وصية لاتصالهما . بأمر الميت ، وقيل لعلى ، عليه السلام – وَصِىٌّ لا تصال نسبه وسببه وسمته بنسب سيدنا رسول الله ( ﷺ ) قلت : كرم الله وجه أمير المؤمنين على وسلم عليه هذه صفاته عند السلف الصالح رضى الله عنهم – ويقول فيه غيرهم : لولا دعاية فيه

**وقول كثير ،**

تُخَبِّر من لاقيت أنك عائــــــز بل العائز المحبوس فى سجن عارم

وصَى النبى المصطفى وابن عمه وفكاك أغلال وقاضى معــــــارم

**وقوله – عز وجل - :** ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ﴾ [النساء:١١]

معناه يفرض عليكم لأن الوصية من الله إنما هى فرض ، والدليل على ذلك **قوله تعالى :** ﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام:١٥١]

**وقوله :** ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ ﴾ [البقرة:١٣٢]

**وقوله** ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا ﴾ [الشورى:١٣]

**وقوله :** وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام:١٥٢]

وهذا من الفرض المحكم علينا.

**وقوله تعالى :** ﴿ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ ﴾ [الذاريات:٥٣]

**ويقول سبحانه وتعالى :** ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر:٣]

**وقوله :** ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ [البلد:١٧].

**قال أبو منصور**: أى أوصى أولهم آخرهم ، والألف ألف استفهام ومعناه التوبيخ

**وتواصوا** : أوصى بعضهم بعضاً ، ووصى الرجل وصياً وصله ، ووصى الشئ بغيره وصياً وصله ، **أبو عبيد** : وصَيْت الشئ ووصلته سواء ، **قال ذو الرمة** ،

وصى الليل بالأيام حتى صلاتنا مقاسمة يشتق أنصافها السفر

**يقول** : رجع صلاتنا من أربعة إلى اثنين فى أسفارنا الحال السفر.

**قال الأصمعى** : وصى الشئ يصِى إذا اتصل ، ووصاه غيره يَصِيه: وصله [1].

١ - لسان العرب – لابن منظور . المجلد السادس . مادة ( وصى ) ص ٤٨٥٣ وما بعدها – دار المعارف .

## وصية " عمر " لـ " أبى عُبيد بن مسعود "

**تقدم "عمر " إلى " أبى عبيد بن مسعود " فقال :**

" إنك تقدم على أرض المكر والخديعة ، والخيانة والجبرية ، تقدم على قوم قد جرأوا على الشر فعملوه وتناسوا الخير فجهلوه ، فانظر كيف تكون واخزن لسانك ولا تفشين سرك فإن صاحب السر ما ضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه ، وإذا ضيعه كان بمضيعة .

## ٢- وصيته لـ " سعد بن أبى وقاص "

**وصى" سعد بن أبى وقاص " حين أمَّره على حرب العراق فقال :**

" أيا سعد بن أبى وقاص، لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله ( ﷺ ) فإن الله – عز وجل – لا يمحو السيئ بالسيئ ولكنه يمحو السيئ بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء ، والله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الأمر الذى رأيت النبى ( ﷺ ) منذ بعث إلى أن فارقنا فالزمه فإنه الأمر هذه عظتى إياك إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين .

## ووصيته للمجاهدين

**كان " عمر بن الخطاب " – رضى الله عنه – يقول عند عقد الألوية .** " بسم الله وبالله ، وعلى عون الله ، امضوا بتأييد الله ، وما النصر إلا من عند الله ، ولزوم الحق والصبر ، فقاتلوا فى سبيل الله من كفر بالله ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ولا تجبنوا عند اللقاء ولا تمثلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور[1] ، ولا تقتلوا هرِمَاً ، ولا امرأة ولا وليداً ، وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان ، وعند شن الغارة عليهم[2] .

## وصية " عمر" لـ " يعلى بن أمية " فى إجلاء أهل نجران

**روى الطبرى قال :**

كان أول بعث بعثه " عمر " بعث أبى عبيد ثم بعث " بعلى بن أمية " إلى اليمن ، وأمره بإجلاء أهل نجران لوصية رسول الله( ﷺ )فى مرضه بذلك ، ولوصية أبى بكر – رحمه الله – بذلك فى مرضه – وقال : " إئتهم ولا تفتنهم عن دينهم ثم أجلِهم من أقام منهم على دينه ، وأقرر المسلم ، وامسح أرض كل من تجلى منهم ثم خَيِّرَهُم البلدان ، وأعلمهم أنا نجليهم بأمر الله ورسوله ألا يترك بجزيرة العرب دينان ، فليخرجوا من أقام على دينه منهم ، ثم نعطيهم أرضاً كأرضهم إقراراً لهم بالحق على أنفسنا ، ووفاء بزمتهم ، فيما أمر الله من ذلك بدلاً بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن وغيرهم فيما صار بجيرانهم بالريف .

---

١ - الغلبة .

٢ - شن الغارة عليهم صبها من كل وجه .

## وصية أبى طالب لوجوه قريش عند موته

**لما حضرت " أبا طالب "الوفاة جمع إليه وجوه قريش فاوصاهم فقال :**

" يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب ، فيكم السيد المطاع ، وفيكم المقدام الشجاع ، الواسع الباع ، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيباً إلا أحرزتموه ، ولا شرفاً إلا أدركتموه ، فلكم بذلك على الناس الفضيلة ، ولهم به إليكم الوسيلة ، والناس لكم حرب ، وعلى حربكم ألب[1]، وإنى أوصيكم بتعظيم هذه البنية – يعنى الكعبة – فإن فيها مرضاةً للرب وقواماً للمعاش وثباتاً للوطأة ، صلوا أرحامكم فإن صلة الرحم منسأة [2]فى الأجل ، زيادة فى العدد اتركوا البغى والعقوق ، ففيهما أهلكت القرون قبلكم ، أجيبوا الداعى ، وأعطوا السائل ، فإن فيهما شرف الحياة والممات ، وعليكم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة فإن فيها محبة فى الخاص ، ومكرمة فى العام .

وإنى أُوصيكم بمحمد خيراً ، فإنه الأمين فى قريش والصِدْيق فى العرب وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به ، وقد جائكم بأمرقَبِلَـهُ الجنَـان[3]وأنكره اللسان مخافة الشنآن ، وأيم الله كأنى أنظر إلى صعاليك العرب وأهل الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته ، وعظموا أمره ، فخاض بهم غمرات الموت ، وصارت رؤساء قريش وصناديدها ، ودُورها خراباً ، وضعفاؤها أرباباً ، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه ، وأبعدهم منه أحظاهم عنده ، قد

- اى ذوو الب : والألب : التدبير على العدو من حيث لا يعلم .
٢ - اى فسحة واتدادا : من نساه اى أخبره .
٣ - القلب .

محضته[1] العرب ، ودادها ، وأصغت له بلادها ، وأعطته قيادها ، يا معشر قريش ، كونوا له ولاة ، ولحزبه حماة ، والله لا يسلب أحد سبيله إلا رَشِدَّ ولا يأخذ بهديه أحد إلا سعد ، ولو كان لنفسي مدة وفي أجلي تأخير ، لكففت عنه الهزاهز[2] ، ولدافعت عنه الدواهي .

## وصية عمير بن حبيب الصحابي لبنيه

**أوصى " عمير بن حبيب " بنيه فقال :**

" يا بني إياكم ومخالطة السفهاء ، فإن مجالتهم داء ، وإن من يحلم عن السفيه يُسَر بحلمه ، ومن يجبه يندم ، ومن لا يقرَّ بقليل ما يأتي به السفيه ، يقر بالكثير ، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف ، أو ينهى عن المنكر ، فليوطن قبل ذلك على الأذى ، وليوقن بالثواب من الله – عز وجل – إنه من يوقن بالثواب من الله – عز وجل – لا يجد مسَّ الأذى .

## وصية " دريد بن الصمة "

**قال " دريد بن الصمة "لمالك بن عوف النصرى ، قائد هوازن يوم حنين :**

" يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم له ما بعده من أيام ، مالي أسمع رُغَاء البعير ، ونهيق الحمير ، وبكاء الصغير ، وزعاق الشاة ، **قال :** سُقْتَ مع الناس أبنائهم ونسائهم وأموالهم **قال :** ولم ؟ **قال :** أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم ، فأنقض به ، ثم قال راعي ضأنٍ والله ، وهل يرد

---

١ - محاضه الود : وأمحضه : أخلصه .

٢ - الهزاهز والهزهزة تحريك البلايا والحروب الناس

المنهزم عن شئ ؟ إنها إن كانت لك ، لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فحت فى أهلك ومالك .

ويحك إنك لم تصنع بتقديم البيضة ، بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً ارفعهم إلى ممتنع بلادهم ، وعلياء قومهم ، ثن ألق الصّبا على متون الخيل ، فإن كانت لك لَحِق بك من ورائك ، وإن كانت عليك ، كنت قد أحرزت أهلك ومالك قال : لا والله ما أفعل إنك قد كَبُرَّت وَذَهِل عقلك .

**قال " دريد " ، هذا يوم لم أشهده ، ولم يفتنى ثم أنشا يقول ،**

يا ليتنى فيها جَزَع　　أخُبُّ فيها وأضع

أقود وطْفاء الزمع　　كأنه شاة صدع

## وصية : قيس بن عاصم المنقرى " لبنيه

**أوصى قيس بن عاصم المنقرى بنيه فقال :**

" يا بنى خذوا عنى ، فلا أحد أصلح لكم منى ، إذا دفنتمونى فانصرفوا إلى رحالكم ، فسوّدوا أكبركم ، فإن القوم إذا سوّدوا أكبرهم خلفوا أباهم ، وإذا سوّدوا أصغرهم أردى ذلك بهم فى أكفائهم ، وإياكم ومعصية الله ، وقطيعة الرحم وتمسكوا بطاعة أمرائكم ، فإنهم من رفعوا ارتفع ، ومن وضعوا اتضع ، وعليكم بهذا المال فأصلحوه فإنه منبهة للكريم ، وجنة اللئيم ، وإياكم والمسألة فإنها آخر كسب الرجل وإن أحداً لم يسأل إلا ترك الكسب ، وإياكم والنياحة ، فإنى سمعت رسول الله ( ﷺ ) ينهى عنها ، وادفنونى فى ثيابى التى كنت أصلى فيها وأصوم ، ولا يعلم " بكر بن وائل " بمدفنى، فقد كانت بينى وبينهم مشاحنات فى الجاهلية والإسلام، وأخاف أن يُدخِلوا عليكم بى عاراً ، وخذوا عنى ثلاث خصال : إياكم وكل عرق لئيم

أن تلابسوه فإنه إن يسرركم اليوم ، يسؤكم غداً ، واكظموا الغيظ ، واحذروا بنى أعداء آبائكم فإنهم على منهاج آبائهم ، **ثم قال :**

أحيا الضغائن آباء لنا سلفوا        فلن تبيد وللآباء أبناء

## وصية أخرى

أمد " أبا بكر أبا عبيدة " بجيش عليه " عمرو بن العاص " فلما أراد الشخوص خرج معه " أبو بكر " – رضى الله عنه – يشيعه **وقال** :

" يا عمرو إنك ذو رأى وتجربة بالأمور وتبصرة بالحرب ، وقد خرجت مع أشراف قومك ، ورجال من صلحاء المسلمين ، وأنت قادم على إخوانك فلا تئلهم نصيحة ، ولا تدخر عنهم صالح مشورة ، فرب رأى لك محمود فى الحرب ، مبارك فى عواقب الأمور ، فقال له عمرو : ما أخلقنى أن أصدق ظنك وأن أقبل رأيك ثم ودعه وانصرف .

## وصيته لشرحبيل بن حسنة

**ووجه " شرحبيل بن حسنة "ودعه فقال له** : يا شرحبيل ، ألم تسمع وصيتى " ليزيد بن ابى سفيان " ؟ **قال** : بلى .

**قال** : فإنى أوصيك بخصال أغفلتُ ذكرهن " ليزيد " أوصيك بالصلاة فى وقتها ، وبالصبر يوم البأس حتى تظفر أو تقتل وبعيادة المرضى ، وبحضور الجنائز وذكر الله كثيراً على كل حال .

## وصيته لـ" أبى عبيدة بن الجراح "

**ولما أراد أن يبعث " أبا عبيدة بن الجراح دعاه فودعه ثم قال له :**

" اسمع سماع من يريد أن يفهم ما قيل له ، ثم يعمل بما أمر به إنك تخرج من أشراف الناس ، وبيوتات العرب ، وصلحاء المسلمين ، وفرسان الجاهلية كانوا يقاتلون إذ ذاك على الحمية وهم اليوم يقاتلون على الحسبة والنية الحسنة أحسن صحبة من صَحِبك ، وليكن الناس عندك فى الحق سواء ، واستعن بالله وكفى بالله معيناً ، وتوكل عليه وكفى بالله وكيلاً ، أخرج من غد إن شاء الله .

## وصيته لـ " ابى عبيدة بن الجراح " أيضاً

فلما كان من الغد خرج " أبو بكر " – رضى الله عنه – يمشى فى رجال من المسلمين ، حتى أتى أبا عبيدة ، فسار معه حتى بلغ ثنية الوداع ، ثم قال حين أراد أن يفارقه : " يا أبا عبيدة ، أعمل صالحاً ، وعش مجاهداً ، وتوف شهيداً يعطيك الله كتابك بيمينك ، ولا تقر عينك فى دنياك وآخرتك فوالله إنى لأرجو أن تكون من التوابين الأوابين المخبتين الزاهدين فى الدنيا ، الراغبين فى الآخرة ، إن الله قد صنع بك خيراً ، وساقه إليك ، إذ جعلك تسير فى جيش من المسلمين إلى عدوه من المشركين ، فقاتل من كفر بالله وأشرك به ، وعبد معه غيره .

## وصية " أبى بكر " لـ " هاشم بن عتبة "

ولما سار " هاشم بن عتبة " ودعه " ابو بكر " – رضى اللهّ عنه – وقال له :

" يا هاشم إنا إنما كنا ننتفع من الشيخ الكبير برأيه ومشورته وحسن تدبيره وكنا ننتفع من الشاب بصبره ، وبأسه ونجدته ، وإن الله – عز وجل – قد جمع لك تلك الخصال كلها وأنت حديث السن ، مستقبل الخير ، فإذا لقيت عدوك فاصبر وصابر واعلم أنك لا تخطو خطوة ، ولا تنفق نفقة ولا يصيبك ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله إلا كتب الله لك به عملاً صالحاً ، إن الله لا يضيع أجر المحسنين .

فقال هاشم ، إن يرد الله بى خيراً يجعلنى كذلك ، وأنا أفعل ولا قوة إلا بالله وأنا أرجو إن أنا لم أقتل أن أقتل ثم اقتل إن شاء الله .

فقال له عمه " سعد بن أبى وقاص " – رضى الله عنه – : " يا ابن أخى لا تطعن طعنة ولا تضربن ضربة إلا وأنت تريد بها وجه الله ، واعلم أنك خارج من الدنيا رشيداً ، وراجع إلى الله قريب ، ولن يصحبك من الدنيا إلى الآخرة إلا قدم صدق قدَّمته ، أو عمل صالح أسلفته .

فقال أى عم : لا تخالن منى غير هذا ، إنى إذاً لمن الخاسرين إن جعلت حلى وارتحالى وغدوى ورواحى وسيفى وطعنى برمحى وضربى بسيفى رياءً للناس ثم خرج فقدم على أبى عبيدة فتباشر بمقدمة المسلمين .

# وصية أبى عبيدة للمسلمين

## وقد أصابه طاعون عمواس

وكان طاعون عَمْوَاس قد عمَّ أهل الشام ( سنة ١٨ هـ ) ومات فيه بشر كثير ومات فيه أبو عبيدة – رحمه الله – .

ولما طُعِنَ " أبو عبيدة " وهو بالأردن ، دعا المسلمين ، فلما دخلوا عليه **قال** :

" إنى أوصيكم بوصية إن قبلتموها لم تزالوا بخير ما بقيتم ، وبعدما تهلكون أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وصوموا وتصدقوا ، وحجوا واعتمروا وتواصوا وتحابوا واصدقوا أمرائكم ولا تغشوهم ، ولا تلهكم الدنيا فإن امرؤ لو عَمِّرَ ألف حول ما كان له بد من أن يصير إلى مصرعى هذا الذى ترون وإن الله قد كتب الموت على بنى آدم فهم ميتون وأكرمهم منهم أَطْوَعُهم لربه ، وأعلمهم ليوم ميعاده ، ثم قال :

"**يا** معاذ صَلِّ بالناس ، فصلى معاذ بالناس ومات أبو عبيدة – رحمه الله ".

## وصية لـ " معاذ بن جبل "

ثم صلى ورجع إلى منزله فإذا هو بابنه عبد الرحمن قد طُعِن ، فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات يرحمه الله ، وصلى عليه معاذ ثم دفنه فلما رجع معاذ إلى منزله طعن فاشتد به وجعه ، وجعل أصحابه يختلفون إليه فإذا أتاه أصحابه أقبل عليهم .

**فقال لهم** : اعملوا وأنتم فى مهلة وحياة ، وفى بقية من آجالكم من قبل أن تمنوا العمل فلا تجدوا إليه سبيلاً وأنفقوا مما عندكم لما بعدكم قبل أن تهلكوا وتَدَعُوا ذلك كله ميراثاً لمن بعدكم واعلموا أنه ليس لكم من أموالكم إلا ما أكلتم وشربتم وأنفقتم وأعطيتم فأمضيتم وما سوى ذلك فللوارثين .

## وصية لمعاذ بن جبل أيضاً

**وآتاه رجل فى مرضه فقال :**

" يا معاذ علمنى شيئاً ينفعنى الله به قبل أن تفارقنى ، فلا أراك ولا ترانى ولا أجد منك خلفاً ثم لَعَلْىِ أن أحتاج إلى سؤال الناس عما ينفعنى بعدك فلا أجد فيهم مثلك **فقال معاذ** : كلا إن صلحاء المسلمين – والحمد لله – كَثِيرُ ، ولن يضيع الله أهل هذا الدين ، **ثم قال له** : " خذ عنى ما أمرك ، كن من الصائمين بالنهار ومن المصلين فى جوف الليل ، ومن المستغفرين بالأسحار ، ومن الذاكرين الله على كل حال كثيراً ، ولا تشرب الخمر ، ولا تزنين ، ولا تَعُـق والديك ولا تأكل مال اليتيم ولا تفر من الزحف ، ولا تأكل الربا ، ولا تَـدع الصلاة المكتوبة ، ولا تضيع الزكاة المفروضة ، وصل رحمك وكن بالمؤمنين رحيماً ، ولا تظلم مسلماً ، وحج واعتمر وجاهد ، ثم أنا لك زعيم بالجنة .

ومات رحمه الله ، وقد استخلف " عمرو بن العاص " فصلى عليه عمرو فلما دفنه **قال** : " رحمك الله يا معاذ فقد كنت – ما علمناك – من نصحاء المسلمين ومن خيارهم وأعلامهم ، ثم كنت مُؤدباً للجاهل ، شديداً على الفاجر ، رحيماً بالمؤمنين – وأيم الله – لا يستخلف من بعدك مثلك .

## وصية لـ " سعد بن أبى وقاص "

ولما أراد أن يسرِّحه دعاه فقال :

إنى قد وليتك حرب العراق ، فاحفظ وصيتى فإنك تقدم على أمر شديد كريه لا يخلص منه إلا الحق ، فعوِّد نفسك ومن معك الخير واستفتح به ، واعلم أن لكل عادة عتاداً ، فَعَتَادُ الخير الصبر ، فالصبر الصبر على ما أصابك أو نابك ، يجتمع لك خشية الله ، واعلم أن خشية الله تجتمع فى أمرين:

فى طاعته ، واجتناب معصيته ، وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة ، وعصاه من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء ، منها السر ، ومنها العلانية فأما العلانية فأن يكون حامده وذَامّهُ فى الحق سواء ، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحبة الناس ، فلا تزهد فى التحبب ، فإن النبيين قد سألوا محبتهم ، وإن الله إذا أحب عبداً حببه وإذا أبغض عبداً بغضه ، فاعتبر منزلتك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس فمن يشرع معك فى أمرك .

## وصية أخرى لـ " سعد بن أبى وقاص "

وكتب " عمر بن الخطاب " إلى " سعد بن أبى وقاص " – رضى الله عنهما – ومن معه من الأجناد .

" أما بعد ، فإن آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصى ، منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عدونا ليس كعدوهم ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ، إلا ننصر عليهم لفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا بأن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله ، ولا تقولوا إن عدونا

شر منا فلن يسلط علينا ، فرُبَّ قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بنى إسرائيل " لما عملوا بمساخط الله كفار المجوس ، فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا ، واسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم ، أسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم وترفق بالمسلمين فى مسيرهم ، ولا تجشمهم سيراً يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم ، حتى يبلغوا عدوهم ( والسفر لم ينقص قوتهم ) فإنهم سائرون إلى عدو مقيم ، حامى الأنفس والكُراع ، واقم بمن معك فى كل جمعة يوماً وليلة ، حتى تكون لهم راحة يحيون فيها لأنفسهم ، ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ، ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة ، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ، ولا يرزأ أحد من أهلها شيئاً فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها ، كما ابتلوا بالصبر عليها ، فما صبروا لكم فتولوهم خيراً ولا تستنصروه على أهل الحرب بظلم أهل الصلح ، وإذا وطأت أرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم ، ولا يخف عليك أمرهم وليكن عندك من العرب أو من أهل من الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه ، فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدقك فى بعضه ، والغاش عين عليك ، وليس عيناً لك وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع ، وتبث السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم ، وتتبع الطلائع عوراتهم وتنقل الطلائع أهل الرأى والبأس من أصحابك ، وتخير لهم سوابق الخيل فإن لقوا عدواً كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك ، واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد ، والصبر على الجلاد ولا تخفى بها أحداً بهون فتضيع من رأيك وأمرك ، أكثر مما أحبيت به أهل خاصتك ، ولا تبعثن طليعة ، ولا سرية فى وجه تتخوف فيه غلبة أو ضيعة ونكاية فإذا عاينت العدو فاضمم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك واجمع إليك مكيدتك وقوتك ، ثم لا تعاجلهم المناجزة ، ما لم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك وَمَقَاتِلَهُ ، وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها فتصنع بعدوك كصنعه به ، ثم أذك أحراسك على عسكرك وتيقظ ، وتيقظ من البيات جهدك ، ولا تؤت بأسير ليس له عقد إلا ضربت عنقه ، لترهب به عدو الله وعدوك ، والله ولى أمرك ومن معك وولى النصر لكم على عدوكم ، والله المستعان .

# الدعـــــاء

وكان " أبو بكر " – رحمه الله – يدعو فى كل يوم غدوة وعشية فى دبر كل صلاة الغداة وبعد العصر يقول .

" اللهم إنك خلقتنى ولم نك شيئاً ، ثم بعثت إلينا رسولاً ، رحمةً منك لنا وفضلاً منك علينا ، فهديتنا وكنا ضُلالاً ، وحببت إلينا الإيمان وكنا كُفْاراً ، وكَثَّرتنا وكنا قليلاً ، وجمعتنا وكنا أشتاتاً ، وقويتنا وكنا ضعافاً ، ثم فرضت علينا الجهاد وأمرتنا بقتال المشركين حتى يقولوا لا إله إلا الله أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ، اللهم لأصبحنا أن نطلب رضاك ونجاهد أعدائك من عدل بك ، وعبد معك إلهاً غيرك ، تعاليت عما يقولون علواً كبيراً ، اللهم فانصر عبادك المسلمين على عدوك من المشركين ، اللهم افتح لهم فتحاً كبيراً ، وانصرهم نصراً عزيزاً ، واجعل لهم من لدنك سلطاناً نصيراً ، اللهم شجع جُنُوبهم ، وثبت أقدامهم وزلزل بعدوهم وأدخل الرعب قلوبهم ، واستأصل شاقتهم ، واقطع دابرهم ، وأبِدْ خضرائهم ، وأورثنا أرضهم ، وديارهم وأموالهم ، وكن لنا ولياً ، وبنا جَنِيّا ، وأصلح لنا شأننا كله ونياتنا وقضائنا وتبعاتنا واجعلنا لأنعُمِكَ من الشاكرين ، واغفر لنا والمؤمنين ، والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، ثبتنا الله وإياكم بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، إنه بالمؤمنين رءوف رحيم .

## ما قال " ربعى بن عامر " عند رستم " قائد جيش الفرس "

وأرسل " رستم " قائد جيش الفرس إلى " سعد بن أبى وقاص " أن ابعث إلينا رجلاً نكلمه ويكلمنا فبعث إليه " ربعى بن عامر " فلما انتهى إليه قال له الترجمان واسمه " عبود " من أهل الحيرة : ما جاء بكم ؟ قال ،

" الله ابتعثنا ، والله جاء بنا ،لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ، ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دُونَنَــا ومن أبى قاتلناه أبدا ، حتى نفضِى إلى موعود الله قال : وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقى .

## وصية علىّ لـ " قيس بن سعد "

ولما قتل عثمان – رضى الله عنه – وولى " على بن أبى طالب " الأمر دعا قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى وولاه مصر عام ٣٦هـ وقال له :

" سر إلى مصر فقد ولّيتكها ، واخرج إلى رحلك واجمع إليك ثقاتك ، ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند فإن ذلك أرعب لعدوك ، وأعز لوليك فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن ، واشتد على المريب ، وأرفق بالعامة والخاصة فإن الرفق يُمن .

## وصيته لـ " أسامة بن زيد "

وأوصى أسامة بن زيد وجيشه حين سيره إلى " أبْنَى "[1] ، فقال :

" يايها الناس : قِفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى : لا تخونوا ، ولا تَغِلّوا ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ولا تقعروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجراً مثمراً ، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله ، وسوف تمرون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تُقْدِمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شئ فاذكروا اسم الله عليها ، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رءوسهم ، وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقاً ، اندفعوا باسم الله " .

## ١- وصيته لـ " عمرو بن العاص والوليد بن عقبة "

وطيّع " عمرو بن العاص والوليد بن عقبة " مبعثهما على الصدقة ، وأوصى كل واحد منهما بوصية واحدة :

" اتق الله فى السر والعلانية ، فإنه من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً ، فإن تقوى الله خير ما تواصى به عباد الله ، إنك فى سبيل من سبل الله ، لا يسعك فيه الإدهان والتفريط والغفلة عما فيه قوام دينكم ، وعصمة أمركم فلا تنِن ، ولا تفتر " .

---

١ - أبنى : موضع بقرب مؤته بمشارق الشام قتل فيه والده " زيد بن حارثة " .

## ٢- وصيته لـ " خالد بن الوليد "

ووصى " أبو بكر " خالد بن الوليد فقال :

" سر على بركة الله ، فإذا دخلت أرض العدو فكن بعيداً من الحملة فإنى لا آمن عليك الجولة ، واستظهر بالزاد ، وسر بالأدِلاَّء ولا تقاتل بمجروح ، فإن بعضه ليس منه ، واحترس من البيات ، فإن فى العرب غِرة ، وأقلل من الكلام ، فإن مالك ما وعى عنك ، واقبل من الناس علانيتهم ، وكِلْهم إلى الله فى سريرتهم وأستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه " .

## وصية " خالد بن سعيد بن العاص " لـ " أبى بكر "

ولما أراد " خالد بن سعيد بن العاص " أن يغدو سائراً إلى الشام ، لبس سلاحه وأمر إخوته فلبسوا أسلحتهم ، عمراً والحكم وأبان ، وغلمته ومواليه ، ثم أقبل إلى أبى بكر – رضى الله عنه – بعد صلاة الغداة وصلى معه ، فلما انصرفوا قام إليه هو وإخوته ، فجلسوا إليه فحمد الله " خالد " وأثنى عليه وصلى على النبى( ﷺ ) **ثم قال :**

" يا أبا بكر إن الله أكرمنا وإياك والمسلمين طُرًّا بهذا الدين ، فأحق من أقام السنة ، وأمات البدعة ، وعدل فى السيرة ، الوالى على الرعية ، وكل امرئ من أهل هذا الدين محقوق بالإحسان ، ومعدلة الوالى أعم نفعاً ، فاتق الله يا أبا بكر " فيمن ولاك الله أمره ، وارحم الأرملة واليتيم وأعن الضعيف المظلوم ، ولا يَكُ رجل من المسلمين إذا رضيت عنه آثر عندك فى الحق منه إذا سخطت عليه ، ولا تغضب ما غضبت على ذلك فإن الغضب يجر الجور ، ولا تحقد على مسلم وأنت تستطيع

فإن حقدك على المسلم يجعلك له عدواً ، ومن اطلع على ذلك منك عاداك ، فإذا عادى الوالى الرعية ، وعادت الرعية الوالى كان ذلك قمناً أن يكون إلى هلاكهم داعياً ، وكن لينا للمحسن ، واشدد على المريب ، ثم قال : هات يدك فإنى لا أدرى هل نلتقى فى الدنيا بعد هذا اليوم ؟

فإن قضى الله لنا التقاء فنسأل الله عفوه وغفرانه ، وإن كانت هى الفرقة التى ليس بعدها التقاء ، فعرفنا الله وإياه وجه النبى ( ﷺ ) فى جنات النعيم فأخذ " أبو بكر " – رضى الله عنه – ثم بكى وبكى خالد والمسلمون ، وظنوا أنه يريد الشهادة .

## وصية " أبى بكر " لـ " خالد بن سعيد بن العاص "

**فلما خرج من المدينة قال له " أبو بكر " – رضى الله عنه – :**

"إنك قد أوصيتنى برشدى وقد وعيته ، وأنا موصيك فاستمع وصيتى وَعِها إنك امرئ قد جعل الله لك سابقة فى الإسلام ، وفضيلة عظيمة ، والناس ناظرون إليك ، ومستمعون منك ، وقد خرجت فى هذا الوجه العظيم الأجر ، وأنا أرجو أن يكون خروجك نية لحسبة ونية صادقة إن شاء الله ، فثبت العالم ، وعلم الجاهل وعاتب السفيه ، المترف وانصح لعامية المسلمين ، واخصص الوالى على الجند من نصيحتك ومشورتك ما يحق الله والمسلمين عليك ، واعمل لله كأنك تراه ، واعدد نفسك فى الموتى ، واعلم أن عما قليل ميتون ، ثم موروثون ثم مساءلون ومحاسبون جعلنا وإياك لأنعمه من الشاكرين والنقمة من الخائفين ، ثم أخذ يدعو وودعه " .

## وصية أبى بكر لـ " عمرو بن العاص "

ولما أجمع أبى بكر أن يبعث الجيوش إلى الشام كان أول من سار من عماله " عمرو بن العاص " وخرج " أبو بكر " يمشى إلى جنب راحلة " عمرو بن العاص" وهو يوصه ، ويقول ،

" يا عمرو اتق الله فى سر أمرك وعلانيته ، واستحيه فإنه يراك ويرى عملك وقد رأيت تقديمى إياك على من هو أقدم منك ، ومن كان من أعظم غناء عن الإسلام وأهله منك ، فكن من عمال الآخرة ، وأرد بما تعمل وجه الله ، وكن والداً لمن معك ولا تكشفن الناس عن أستارهم ، واكتف بعلانيتهم ، وكن مُجِدّاً فى أمرك واصدق اللقاء إذا لاقيت ولا تجبن ، وتقدم فى العلوم ، وعاقب عليه ، وإذا وعظت أصحابك فأوجز وأصلح نفسك تصلح لك رعيتك .... وصية له طويلة " .

## وصية " أبى بكر " لـ " عمر " – رضى الله عنهما – عند موته

إنى أستخلفك من بعدى ، وموصيك بتقوى الله ، إن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم ، وحُق لميزان لا يوضع فيه إلى الحق أن يكون ثقيلا ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً ، إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، فإذا ذكرتهم قلت إنى أخاف ألا أكون من هؤلاء وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ولم يذكر حسناتهم فإذا ذكرتهم قلت إنى لأرجو ألا أكون من هؤلاء ، وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغباً

راهباً ولا يتمنى على الله غير الحق ولا يلقي بيده إلى التهلكة فإذا حفظت وصيتى فلا يكن غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك وإن ضيعت وصيتى فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت ولست بمُعجزله ".

## وصية " عمر " لـ " أبى عبيد بن مسعود "

وتقدم عمر إلى أبى عبيد بن مسعود فقال :

" إنك تقدم على أرض المكر والخديعة ، والخيانة والجبرية ، تقدم على قوم قد جرءوا على الشر فعلموه ، وتناسوا الخير فجهلوه ، فانظر كيف تكون ، واخزن لسانك ولا تُفشي لنا سرك فإن صاحب السر ما ضبطه فتحصن لا يؤتى من وجه يكرهه ، وإذا ضيعته كان بمضيعة ".

## وصيته لـ " سعد بن أبى وقاص "

وصى سعد بن أبى وقاص حين أمَّره على حرب العراق فقال :

" يا سعد بن وهيب ، لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله ( ﷺ ) وصاحب رسول الله ، فإن الله – عز وجل – لا يمحو السئ بالسيئ ولكنه يمحو السئ بالحسن ، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الأمر الذى رأيت النبى ( ﷺ ) منذ بُعِثَ إلى أن فارقنا فالزمه ، فإنه الأمر ، هذه عُظَّتى إياك إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين ".

## وصية "العباس بن عبد المطلب (المتوفى ٣٢هـ)" لـ ابنه عبد الله

**قال عبد الله بن عباس " قال لى أبى :**

" يا بنى إنى أرى أمير المؤمنين – يعنى عمر بن الخطاب – قد اختصك دون من ترى من المهاجرين والأنصار، وإنى موصيك بخلال أربع : لا يجرين عليك كذبا ولا تغتابن عنده مسلماً، ولا تفشين له سراً، ولا تَطْوِ عنه نصيحة، قال : فقلت يا أبه .

كل واحدة منها خير من ألف . فقال : كل واحدة منها خير من عشرة آلاف .

## وصية عمر لـ " الخليفة من بعده "

**وأوصى عمر الخليفة من بعده فقال :**

أوصيك بتقوى الله لا شريك له، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً أن تعرف لهم سابقتهم، وأوصيك بالأنصار خيراً، فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم وأوصيك بأهل الأمصار خيراً، فإنهم رِدْء العدو وجباة الفئ، لا تحمل فيئهم، إلا عن فضل منهم، وأوصيك بأهل البادية خيراً، فإنهم أهل العرب، ومادة الإسلام أن تأخذ من حواشى أموال أغنيائهم، فترد على فقرائهم، وأوصيك بأهل الذمة خيراً، أن تقاتل من ورائهم، ولا تكلفهم فوق طاقتهم، إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعاً، أو عن يدٍ وهم صاغرون، وأوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه، ومخافة أن يطلع منك على ريبة، وأوصيك أن تخشى الله فى الناس، وتخشى الناس فى الله وأوصيك بالعدل فى الرعية، والتفرغ لحوائجهم وثغورهم، ولا تُؤْثِر غنيهم على فقيرهم، فإن ذلك بإذن الله سلامة لقلبك، وحط لوزرك، وخير فى عاقبة أمرك حتى تفضى من ذلك إلى من يعرف سريرتك، ويحول بينك وبين قلبك، وآمرك أن تشتد فى أمر الله، وفى حدوده ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم، ثم لا تأخذك فى أحد رأفة حتى تنتهك منه، مثل ما انتهك من حرمة الله، واجعل الناس عندك سواء، لا تبالى على من وجب الحق، ثم لا تأخذك فى الله لومة لائم، وإياك والأثرة والمحاباة فيما ولاك الله، فما أفاء الله على المؤمنين، فتجور وتظلم، وتحرم نفسك

من ذلك ما قد وسعه الله عليك ، وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة وأنت إلى الآخرة جد قريب ، فإن اقترفت لدنياك عدلاً وعفة عما بسط الله لك اقترفت به إيماناً ورضواناً ، وإن غلبك الهوى ، اقترفت به سخط الله ، وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة ، وقد أوصيتك وحضضتك ونصحتك ، فابتغ بذلك وجه الله والدار الآخرة ، واخترت من دلالتك ما كنت دالاً عليه نفسي وولدي ، فإن عملت بالذي وعظتك وانتهيت إلى الذي أمرتك ، أخذت به نصيباً وافراً ، وحظاً وافياً ، وإن لم تقبل ذلك ، ولم يهمك ولم تنزل معاظم الأمور عند الذي يرضى الله به عنك يكن ذلك بك انتقاصاً ، ورأيك فيه مدخولاً ، لأن الأهواء مشتركة ورأس كل خطيئة إبليس ، وهو داع إلى كل هلكة ، وقد أضل القرون السالفة قبلك ، فأوردهم النار ، ولبئس الثمن أن يكون حظ امرئ موالاة عدو الله الداعي إلى معاصيه ، ثم اركب الحق وخُض إليه الغمرات ، وكن واعظاً لنفسك ، أنشدك الله لما ترحمت على جماعة المسلمين ، فأجلل كبيرهم ، وراحم صغيرهم ، ووقر عالمهم، ولا تَضُر بهم فيذلوا ، ولا تستأثر عليهم بالفئ فتغضبهم ، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم ، ولا تجمّرهم في البعوث فتقطع نسلهم ، ولا تجعل المال دولة بين الأغنياء منهم ، ولا تغلق بابك دونهم ، فيأكل قويهم ضعيفهم ، هذه وصيتي إياك وأشهد الله عليك ، واقرأ عليك السلام .

**وفي رواية الطبري :**

قال ، " وأوصي الخليفة من بعدي بالأنصار الذين تبوأوا الدار والإيمان أن يحسن إلى محسنهم ، وأن يعفو عن مسيئهم ، وأوصي الخليفة من بعدي بالعرب فإنها مادة الإسلام أن يؤخذ من صدقاتهم حقها فتوضع في فقرائهم ، وأوصي الخليفة من بعدي بذمة رسول الله ( ﷺ ) أن يوفى لهم بعدهم ، اللهم هل بلغت ؟

تركت الخليفة من بعدي على أنقى من الراحة .

## وصية شريح بن هانئ لـ " ابى موسى الأشعرى "

ولما أراد أبو موسى المسير قام إليه شريح بن هانئ الحارثى فأخذ بين يديه وقال :

" يا أبا موسى : إنك قد نصبت لأمر عظيم لا يجبر صدعه ، ولا تقال فلتته ومهما من شئ لك أو عليك ، يثبت حقه ، ويرى صحته وإن كان باطلاً ، وإنه لإبقاء أهل العراق إن ملكهم معاوية ، ولا بأس على أهل الشام إن مَلَكهم علىّ ، وقد كانت منك تثبيطه ، أيام الكوفة والجمل ، فإن تشفعها بمثلها يكن الظن بك يقينا والرجاء منك يأساً ثم قال :

| | |
|---|---|
| أبا موسى : رُميت بشر خصم | فلا تضع العراق(فدتك نفسى) |
| وأعط الحق شامهم وخذه | فإن اليوم فى مهل كأمس |
| وإن غداً يجيئ بما عليه | كذاك الدهر من سن ونحس |
| ولا يخدعك عمرو إن عمراً | عدو الله مطلع كل شمس |
| له خدعُ يحار العقل منها | مموّهة مزخرفة بلبس |
| لا تجعل معاوية بن حرب | كشيخ فى الحوادث غير نكس |
| هداه الله للإسلام فرداً | سوى عرس النى وأى عرس؟ |

فقال أبو موسى : " ما ينبغى لقوم اتهمونى أن يرسلونى لأدفع عنهم باطلاً أو أَجُرَّ إليهم حقاً " .

## وصية الأحنف بن قيس لـ " أبى موسى الأشعرى "

ولما حُكم أبو موسى الأشعرى أتاه الأحنف بن قيس فقال له :

" يا أبا موسى : إن هذا مسير له ما بعده ، من عز الدنيا أو ذلها آخر الدهر ادع القوم إلى طاعة علىّ ، فإن أبوا فادعهم أن يختار أهل الشام من قريش العراق من أحبوا ، ويختار أهل العراق من قريش الشام من أحبوا ، وإياك إذا لقيت ابن العاص أن تصافحه بنيّة ، وأن يقعدك على صدر المجلس فإنها خديعة وأن يضمك

وإياه بيت فيكمن لك فيه الرجال ، ودعه فليتكلم لتكون عليه بالخيار فالبادئ مستغلق والمجيب ناطق ." .

فما عمل أبو موسى إلا بخلاف ما قال الأحنف ، وأشار به ، فكان من الأمر ما كان فلقيه الأحنف بعد ذلك ، فقال له : " أدخل والله قدميك فى خفّ واحدة " .

## وصية معاوية لـ " عمرو بن العاص "

**١- وقال معاوية لعمرو :**

"إن أهل العراق أكرهوا علياً على أبى موسى ، وأنا وأهل الشام راضون عنك وأرجو فى دفع هذه الحرب قوة لأهل الشام ، وفرقة لأهل العراق ، وإمداداً لأهل اليمن ، وقد ضُمَّ إليك رجل طويل اللسان ، قصير الرأى ، وله على ذلك دين وفضل فدعه يقول فإذا هو قال فاصمت ، واعلم أن حسن الرأى زيادة فى العقل ، إن خوّفك بالعراق فخوفه بالشام ، وإن خوفك مصر فخوفه باليمن ، وإن خوفك علياً فخوفه بمعاوية . وإن أتاك بالجميل فأته بالجميل .

**٢- رد عمرو بن العاص عليه :**

" يا أمير المؤمنين : أقلل الاهتمام بما قبلى ، وَارْجُ الله تعالى فيما وجهتنى له إنك من أمرك على مثل حد السيف ، لم تنل فى حربك ما رجوت ، ولم تأمن ما خفت ونحن نرجو أن يصنع الله تعالى لك خيراً ، وقد ذكرت لأبى موسى ديناً وإن الدين منصور ، أرأيت إن ذكر علياً وجاءنا بالإسلام والهجرة واجتماع الناس عليه ما أقول ؟ " **فقال معاوية :** " قل ما تريد وترى " .

## وصية معاوية لـ " عمرو بن العاص "

١- وجهز معاوية عمرو بن العاص ، وبعثه فى ستة آلاف رجل ، وخرج وودعه وقال له عند وداعه إياه :

" أوصيك يا عمرو بتقوى الله والرفق ، فإنه يُمْن ، وبالمهل والتُؤدة ، لإن العجلة من الشيطان ، وبأن تَقْبل ممن أقبل ، وأن تعفو عمن أدبر ، فإن قبل فبها وَنِعمت وإن أبى فإن السطورة بعد المعذرة أبلغ فى الحجة ، وأحسن فى العاقبة ، وادع الناس إلى الصلح والجماعة فإذا أنت ظهرت فليكن أنصارك آخر الناس عندك وكلّ الناس فأول حُسنا " .

## الرثـــاء

### رثاء " معاذ بن جبل " لـ " أبى عبيدة "

" رحمك الله يا أبا عبيدة ، فوالله لأثنين عليك بما علمت ، والله لا أقول باطلاً ، أخاف أن يلحقنى من الله مقت كنت والله – ما علمت – من الذاكرين الله كثيراً ، ومن الذين يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، ومن الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، ومن الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ، وكان والله من المخبتين المتواضعين ، ومن الذين يرحمون اليتيم والمسكين ويبغضون الجفاة المتكبرين " .

ولم يكن أحد من الناس كان أشد جزعاً على فقد " أبى عبيدة " وعلى موته ولا أطول حُزناً عليه من " معاذ بن جبل " .

# المقال

## مقال حجر بن عدى

**وقام حجر بن عدى فقال :**

" يا أمير المؤمنين نحن بنو الحرب ، وأهلها الذين نُلقِحُهـا وننتجها قد ضار سقنا وضار سناها ، ولنا أعوان وعشيرة ذات عدد ، ورأى مجرَّب ، وبأس محمود وأزمتنا منقادة لك بالسمع والطاعة ، فإن شرّقت شرقنا ، وإن غرّبتَ غربنا وما أمرتنا به من أمر فعلنا " .

فقال عَلِىّ رضى الله عنه : أكل قومك يرى مثل رأيك ؟ قال : ما رأيت منهم إلا حسنا ، وهذه يدى عنهم بالسمع والطاعة وحسن الإجابة ، فقال له علىّ رضى الله عنه خيراً .

## مقال هاشم بن عتبة

**وقال " زياد بن النضر الحارثى " لـ " عبد الله بن بديل الخزاعى " :**

إن يومنا عَصِيب، ما يصبر عليه إلا كل مشبع القلب ، صادق النية ، رابط الجأش ، وأيم الله ما أظن ذلك اليوم يبقى منهم ولا منا إلا الرُّذال ، فقال عبد الله بن بديل ، أنا والله أظن ذلك ، فبلغ كلامهما علياً رضى الله عنه ، فقال لهما ،

" ليكن هذا الكلام مخزوناً فى صدوركما ، لا تظهراه ولا يسمعه منكما سامع إن الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين ، وكل آتيه منيته كما كتب الله له فطوبى للمجاهدين فى سبيله ، والمقتولين فى طاعته ، فلما سمع"هاشم بن عتبة " ما قالاه أتى علياً رضى الله عنه فقال :

" سر بنا يا أمير المؤمنين إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم والذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، وعملوا فى عباد الله ، بغير رضا الله فأحلوا حرامه ، وحرموا حلاله ، واستهوى بهم الشيطان ووعدهم الأباطيل ، ومناهم الأمانى ، حتى أزاغهم عن الهدى ، وقصد بهم قد الزدى ، وحبب إليهم الدنيا ، فهم يقاتلون على دنياهم رغبة فيها ، كرغبتنا فى الآخرة ، وأنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من رسول الله( ﷺ ) رحما ، وأفضل الناس سابقة وقدماً ، وهم يا أمير المؤمنين يعلمون منك مثل الذى تعلم ، ولكن كتب عليهم الشقاء ، ومالت بهم الأهواء وكانوا ظالمين ، لأن ايدينا مبسوطة بالسمع والطاعة ، وقلوبنا منشرحة لك بذل النصيحة ، وأنفسنا تنصرك على من خالفك ، وتولى الأمر دونك جزلة ، والله ما أحب أن لى ما على الأرض فما أقلت ، ولا ما تحت السماء فما أظلت ، وأنى واليت عدواً لك ، وعاديت ولياً لك " .

فقال على رضى الله عنه :" اللهم ارزقه الشهادة فى سبيلك والموافقة لنبيك "



# أهم المصادر والمراجع


١- القرآن الكريم .

٢- السنة النبوية المطهرة .

٣- أثر القرآن فى تطور النقد الأدبى إلى آخر القرن الرابع الهجرى تأليف / محمد زغلول سلام ، القاهرة ١٩٥٢م .

٤- الأصل والبيان لمعرّب القرآن ، تأليف / حمزة فتح الله ، مصر ، طبعة مصر .

٥- أوائل السور فى القرآن الكريم ، تأليف / على نصوح الطاهر ، عمان ١٩٥٤م .

٦- الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية ، تأليف / أبى الأعلى المودودى ( تعريب محمد عاصم الحداد ) دمشق ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م .

٧- الإسلام والتكافل المادى فى المجتمع، تأليف / حسن خالد، بيروت ١٩٥٩ م .

٨- الإسلام والديموقراطية ، تأليف / أبى الأعلى المودودى ، دمشق ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م .

٩- الإسلام والعلاقات الدولية ( فى السلم والحرب ) تأليف / محمود شلتوت القاهرة ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م .

١٠- إعجاز القرآن تأليف / أبى بكر محمد بن الطيب الباقلانى ، تحقيق / أحمد صقر ، القاهرة ١٩٤٥م .

١١- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، تأليف / مصطفى صادق الرافعى ط محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٩٤٥م .

١٢-اشتراكية الإسلام ، تأليف الدكتور / مصطفى السباعى ، دمشق ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م .

١٣-الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ، القاهرة ( دار الكتب ) ١٩٣٣ - ١٩٥٠ .

١٤-السياسة الإسلامية فى عهد النبوة ، تأليف / عبد المتعال الصعيدى القاهرة .

١٥-القصص الفنى فى القرآن ، تأليف / محمد خلف الله ، ط الثانية ، القاهرة ١٩٥٧م .

١٦-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى مصر ( بولاق ) ١٢٨١هـ .

١٧-اللغات فى القرآن ، لأبى محمد إسماعيل بن عمرو الحداد ( صلاح الدين المنجد ) القاهرة ( مطبعة الرسالة ) ١٩٤٦م .

١٨-المفردات فى غريب القرآن للراغبى الأصفهانى ، القاهرة ، البابى الحلبى .

١٩-المتوكل فى ما ورد فى القرآن باللغة الحبشية والفارسية والهندية والتركية ... إلخ ، للسيوطى ، دمشق ، مكتبة القدسى والبدير ١٣٤٨هـ .

٢٠-المعاهدات والمحالفات فى عهد الرسول ، تأليف / حسن خطاب الوزير القاهرة ١٩٣٠م .

٢١-النفاق والمنافقون فى عهد رسول الله ، تأليف / إبراهيم سالم ، القاهرة ١٩٤٨م .

٢٢- النشر فى القراءات العشر لشمس الدين محمد بن محمد الجزرى ، دمشق مطبعة التوفيق ١٣٤٥هـ .

٢٣- بين الإسلام والنظم المعاصرة ، تأليف / أبى الأعلى المودودى .

٢٤-تحفة الأريب بما فى القرآن من الغريب لأبى حيان الأندلسى ، حماة مكتبة عنوان النجاح ١٣٤٥هـ .

٢٥- تفصيل آيات القرآن الحكيم ، وضعه بالفرنسية ( جول لابوم ) ونقله إلى العربية / محمد فؤاد عبد الباقى ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية .

٢٦- تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ، أحمد صقر ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٨م .

٢٧- ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ، تأليف / محمد بن إبراهيم بن الوزير ، القاهرة ١٩٣١م .

٢٨- جامع البيان عن تأويل آيات القرآن لمحمد بن جرير الطبرى ( محمود محمد شاكر ) ، القاهرة ، دار المعارف ١٣٧٤ هـ - ١٣٧٨هـ .

٢٩- زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم الجوزية ، القاهرة ، المطبعة المصرية ، بلا تاريخ .

٣٠- عصر النبى وبيئته قبل البعثة ، تأليف / هبة الدين الحسنى الشهرستانى بغداد ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م .

٣١-غريب القرآن للجستانى ، مصطفى عنانى ، القاهرة ، المطبعة الرحمانية ١٩٤٢ .

٣٢- فتح الرحمن لطالب آيات القرآن ، تأليف كرديب على زاده فياض الله الحسنى المقدسى ، بيروت ١٣٣٢هـ .

٣٣- قيام الدولة العربية الإسلامية فى حياة محمد ، تأليف / محمد جمال الدين سرور ، القاهرة ، الخانجى ١٩٣٠م .

٣٤- كشف الغمة فى مدح سيد الأمة ، مختصر من سيرة ابن هشام وغيرها تأليف / محمود سامى البارودى ، القاهرة ١٣٥٥هـ .

٣٥- مجاز القرآن لأبى عبيدة معمر بن المثنى – محمد فؤاد سزكية ، القاهرة الخانجى ١٩٥٤م .

٣٦- مشاهد القيامة فى القرآن ، تأليف / سيد قطب ، القاهرة ١٩٤٧م .

٣٧- مجمع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ( عنى بطبعه / أحمد عارف الزين صيدا ، مطبعة العرفان ١٩٣٦م .

٣٨- من بلاغة القرآن ، تأليف / أحمد أحمد بدوى ، القاهرة ١٩٥٠م.

٣٩- من توجيهات الإسلام لفضيلة الأستاذ شيخ الأزهر / محمود شلتوت القاهرة ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م .

٤٠-نظرية الإسلام الخلقية ، تأليف / أبى الأعلى المودودى ، دمشق ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م .

٤١-نجوم الفرقان فى أطراف القرآن ( ترتيب فرغلى ) .